اوشکوریداد

عليان، نور هشام
نور هشام عليان / اوشكوريداد . عمان : دار يافا العلمية للنشر والتوزيع ، 2021
( )ص.
ر. إ. / 12/ 2021
الواصفات : الأدب العربي/ / العصر الحديث/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية او اي جهة حكومية اخرى

جميع حقوق الطّبع والنّشر محفوظة. ©

لا يسمح بتصوير أو نسخ جزء أو كل هذا الكتاب بدون الموافقة الخطّية من المؤلف.

وكل مَن يُخالف ذلك، يعرّض نفسه للمساءلة القانونية

الطبعة الأولى، 2021

اوشكوريداد

حيث يلتقي النور بالظلمة

نور هشام عليان

2021

الإهداء

إلى ريحانه القلب ومهجة الفؤاد غاليتي "أمي "

ألى جمانة الروح أختي "جمانه عليان"

إلى" هدى "الطريق و"سهام" النور و"أمل" العيش ، عماتي .

إلى معزوفة القلب -الدندنة الاعذب -دانيا العواوده"

إلى زينة العمر "زين العقرباوي "

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العليم المنان وأصلي وأسلم على سيد الأنام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أما بعد:

حقيقة وخيال، ظلام ونور، هناء وشقاء، سعادة وتعاسة، قد لا تستطيع البقاء في الواقع(الحقيقة)في كامل وقتك، عندها لا بُدّ من الهروب إلى الخيال، وهو إن شئت فقل عالم الخيال، فما لم تجده في الحقيقة تجده في هذا العالم فإنك تعيش فيه كما يحلوا لك.

رواية اوشكوريداد التي بين أيدينا، أسلوب شيّق ممتع جذّاب ، فيها عالم من خيال إختارته لنا كاتبتنا لنعيش فيه بين النور والظلام.

أترك لك أيها القارئ متابعة القراءة للنهاية، فاقرأ بإحساسك لتُعايش الأحداث ، واخرج بالفائدة المطلوبة.

فإن لكل شيء ثمرة فاحرص على قطف هذه الثمرة(الفائدة) ، وكن ممن يغتنم الفوائد والفرص ويعمل بمضمونها، تكن من أعقل الناس وأكيسهم ...

هشام عليان

إلى كل من غلبه جانبه المظلم وعمقهُ منير ...

لاتقلق أعلم أنكَ لست بسيء أنت فقط غارق في عتمة

أوشكوريداد❖.

" اوشكوريداد "و"لا لاز "كلمات إسبانية

"خذني قطافًا ذابلًا وأعدني للحياة

خذني إلى أرضِ الاحلام

لأهرع إليها هربًا

وشوقًا لأحتضان الخيالات

لألحق الركبَ الماضي

في طريقٍ

مبتعد عن بعثرةِ الذكريات"

هكذا قالت منتظرة من أحدهم أن يحررها من سجنها الذي علقت به، غابت عنها حقيقة أن لامفر من الظروف ولامهرب من الواقع، حتى الأحلام مؤلمة عندما تدرك أنك كنت تعيش سرابًا لاحقيقة فيه، لا أحد يأخذ بيدك سوى نفسك ....

وأن أردت التحرر من سجن ما، فلن تفعل ذلك الى بتحطيم قيوده وكسر قضبانه .

فهل يلين الحديد أمام قوة الإرادة؟!

نظن أن ظروفنا لاتسعفنا في كثير من الاوقات للعيش كما نريد ،أو تحقيق ما نطمحه، ولكن الاصرار يجعل كل شيء ممكنًا، العجز يكون فقط عندما "تموت" لأن الموت هو حدُ التغيير والتوبة ، فلا تُمت نفسك وأنت على قيد الحياة!).

أغلقتْ كتابها ونظرتْ للمرآه، تحسست ملامحها بأناملها الرقيقة، وابتسمت مع انسياب الدموع، كانت تشعر أن صفحات هذا الكتاب

تلامس داخلها المحطم ، كانت كلماته دافئة، تُربّت على قلبها بحُنو في ظل مواسم الشتاء المتتالية التي جمَّدت روحها.

كان الكتاب مخملي اللون وكأنه زهرة أهداها إياها أحدهم لتبتسم في ظل الكثير من النكبات ، صفحاته سوداء كداخلها تمامًا، ونُقِشت عليه الكلمات باللون الفضي، كانت كالنور تُنقشُ في داخلها... في سوادها .

تذكرتْ كيف وجَدَتْه مُلقى في إحدى زوايا الحديقة التي اعتادت الذهاب إليها، كانت الحديقة واسعة ،مهجورة، فيها حشائش ذابلة ،وأرضها كلها أغصان متناثره ،شجرها أخضر مُعتم ، فيها غرفة قديمة تَركَ الحريق في الماضي لماسته عليها .

إلا أنها كانت صديقتها التي تحاكيها بحزنها دون خوف البوح!

تذكر تلك التفاصيل الصغيرة، فقد جمعتها مع هذا الكتاب الغريب ، ومُنذ أن عثرت عليه وهي لاتستطيع فراقه، وكأنه يعيش مع حزنها وسعادتها وكأنه يستهدفها.

كان عنوانه "oscuridad"

وكتب بخط خفيف لا يكاد يُرى" اوشكوريداد "....

أعادها صوت أمها المنادية: ريم، ريم تعالِ هنا...

أغلقت الكتاب ووضعته في درج مكتبها ،لم تره لأمها،بحكم أن أمها مقتنعة بفكرة الزواج المبكر، وأن ما يجب للانثى أن تتعلمه هي الامور التي تقتصر على كيفية اعتنائها بجسدها وبالمنزل، فما أن

كبرت أبنتها حتى منعتها الذهاب للمدرسة، ونهتها عن الخوض في دروب العلم التي كانت في نظرها "دون جدوى".

ريـم: قادمة

وقفت أمام أمها بثوبها الوردي ،عاقدة شعرها للخلف، مبتسمة تلك الأِبتسامة التي تهِبُ جمالَ ملامحها جمالًا ...

صرخت أمها :كيف لك أن تربطي شعرك بهذه الطريقة ؟

وسارعت لفك ربطة شعرها بغضب وهي تُزمجر وكأنها ذئب مفترس قد لاقى فريسته بعد جوعٍ طويل.

سرَّحت شعرها ثم قالت: علمتك أن ما يلفت النظر في المرأة هو جمالها فلما تصرين على إلحاق الفضيحة بي، بأنني أمتلك فتاة مهملة مظهرها ، حتى أنكِ كنت تبدين وكأنك صبي يرتدي فستان!

وأكملت: جمال الفتاة في ثوبها ، لباقتها ، نظافتها.

ريم: مافائدة الجمال إذا كنت أمتلك قلبًا خبيثًا أو عقلًا فارغًا ؟!

صمتت أمي هي دومًا تفعل ذلك عندما أقيّد خطأها بالصواب عندما ألقي عليها سؤال إجابته تظل حائرة بغرض لفت نظرها لما غفلت عنه، ثم كأي شخص يدافع عن الباطل تصرخ، المخطئ دومًا يلجأ للصراخ ليخبئ خلفَ نبرته المرتفعة تعثراته.

وبالفعل صرخت أمي :ما أنت ابنتي التي ربيتها ، كوني كـ "ياقوت" كوني مثلي تمامًا.

ابتسمت وقلت: سأفعل، أمي !

وقفت بكبريائها المعهود وثوبتها الاحمر الطويل يزيد من وقفتها هيبة وقالت :

ستكون هناك حفلة هذا المساء، سنذهب أنا ووالدك لذلك ...

قاطعتها قائلة: لاعليكِ أمي اذهبي .

فقالت: لاتقاطعي كلامي مرة اخرى -وتابعت- ستكون هذه الحفلة بمثابة خطة لتحسين علاقات عمل والدك القادمة، لذا ستأتين معنا ، ناديتك لتستعدي لذلك ....

قلت بتذمر: لا أريد الذهاب، أكره تلك الاحتفالات والاجتماعات .

لترد بغضب: في مساء السابعة ستكونين متجهزة، ولا أريد سماع أي اعتراض، هيا غادري!

انسحبت إلى غرفتي، وانا أعلم أنه لا سبيل لاقناعها، ولكنني لا أريد الذهاب، أغلقت الباب بقوة، أعلم أنها ستغضب على هذا ايضًا، لكنني مللت ....

صمت ...

هناك صوت ينادي باسمي

أرهفت سمعي، لكنه ليس صوت أمي

ولا صوت الخادمة"ماري"

وليس أبي

وفي هذا المنزل

لا يوجد أحد

غيرنا ....

قلت متصنعة الثبات:من؟ من هناك؟

وكأن الصوت يهمس لي ولا يريد أن يسمع أحد ، كان الصوت قادمًا من الدُرج، صحت: يارب احمني يالله...

وظللت أكرر الجملة ذاتها، بعد برهة استجمعت قوتي وفتحت الدُرْج ، وما إن فتحته حتى توقف الصوت، كنت احتفظ بالكتاب فيه، أسفل قطع من الثياب لكي لا تصله يدُ أمي، صدمت بأن الكتاب أصبح أعلى القطعة ومفتوح على صفحة معينة، حملته وقرأت ما كُتب :

("غاليةٌ أنتِ

جميلةٌ كما أنتِ

بعيدًا عن التصنع والجشع

إذا كان العالم ياقوتًا

فأثمن من الجوهرِ أنتِ "

بَدأت صاحبة الرداء الوردي تكره مايحدث، بدأت تملُّ الأهمال والتجاهل، والإهتمام بثيابها ومظهرها لا بها، إن فقدان الإهتمام كفقدان الماء للزهرة ، وكلنا بذور ونحتاج الماء لننمو، فكيف ستنمو زهرة دون ما يعينها على ذلك ويثبت لها أنها مهمة، وغالية كما هي؟

لاتحتاجين للتصنع ، العالم فسيح فافعلي ما تشائين، اذهبي للحفلة، تصرفي كما أنت، دعكِ منهم، فالكل يثرثر بما يريد وبما يروق له

، بعثري الوسط واقضي وقتًا ممتعًا.هكذا فكرت الفتاة وهي تستعد للحفلة)

سقط الكتاب من يدها، فسقط مغلقًا ،همست ريم وهي تحرك خصلات شعرها:

أهذا حقيقي!

أنه يكتب عني ،يكتب ما يحدث، ولايكتفي بذلك ايضًا بل يخبرني ما أفعل!

تراجعت خطوات للخلف مبتعدة، ثم عادت وأمسكت بالكتاب بين ذراعيها وقالت: هل أنت الذي كنت تصيح باسمي؟

لم يجب

حملته ريم وأعادته للدُرج نظرت إليه بغرابة ، نظرةَ فتاةٍ ضاعتْ في أخر كلمات قرأتها وفي آخر حدث مرت به ، ثم وضعت قطع الثياب فوقه وأغلقت عليه .

نظرت للساعة كانت في تمام السادسة، لديها ساعة واحدة لتستعد، ستقتلها أمها إن تاخرت عن الموعد، فتحت خزانتها وانتقت ثوبًا أسودًا طويل، كانت تكره الثياب القصيرة وتصيح في وجه أمها دومًا لترتدي الحجاب ولكن أمها تغضب في كل مرة وتمزق لها كل ثوب طويل، لذلك ارتدت ثوبًا أسودًا أكمامه تغطي ولاتغطي!

ولكنها مكرهه، كلما نظرت لنفسها وهي تستعد للخروج تَهيء الحجاب في دماغها، تمنت لو ترتديه، فهي تراه سِترًا ، وأنه يغطي جمالها ليهبها "جمال الستر" الذي لا تعترف به أمها.

كانت ريم تهمس: اللؤلؤ جميل، وهو أثمن الجواهر، وتحيط به الصّدفة لتغطيه!

لماذا لا أكون لؤلؤة وأتدثر بما يغطيني؟ !

أتذكر معلمة التربية الاسلامية التي كانت دومًا تضرب لنا مثل الحجاب بالحلوى المغلفة ومثل الفتاة دونه كقطعة حلوى التمّ الذباب لينهش منها.بالرغم من أن الجميع ينهش الجميع، ولا يكاد يفلت الرجل الكبير ولا الشاب الصغير من التعليقات التي لا تنفد ، إلا إني مقتنعة كليًا به.

نظرتُ لنفسي بعد أن ارتديت الثوب وتنهدت وقلت:

وكأني لا امتلك حيلة لأفعل ما أريده ...

ثم نظرتْ للدُّرج حيث يقطن الكتاب، وقالت:

لازلت لا أعلم أن كان ماحدث بفعل نوبة غضب أم أنه حقيقي، اقتربتُ وفتحتُ الدُّرج رفعت طرف القطع القماشية فوجدته مكانه، تنهدتُ مجددا واكملتُ تصفيف شعري، أريد أن أنجوا من كلمات أمي السليطة.

أفكر هل أفسد الحفلة كما جاء على لسان الكتاب أو على تراهات اختلقها عقلي؟!

لكنها بدت لي تُراهات جيدة...

****

هناك بين المقاعد الفاخرة تتجول بحِيرة ذهابًا وأيابًا ،بثوبها الأحمر القاني القصير ،هي تفضل الأحمر دومًا وتظن أنه يمثلها بحُكم أن الياقوت أحمر في غالبه فيليقُ بها وبمُسَمّاها، تمضي وفي جعبتها الكثير من الأسئلة التي تُطرح فقط دون أن تَعثر لها على جواب ، داخلها أصبح مُكتظ وكأنها سحابة قاتمة سوداء مملوءة بالوَدق وتأبى لما بداخلها الهطول ...

ياقوت...

هي لا تفهم، ولا تريد أن تفهم،لعلي صنعتُ ذنبًا عظيمًا لتكون ابنتي كهذه!

ماذا تريد غير المال؟

هل هناك أعز منه؟

لا زالت لاتدرك أن من يمتلك المال يمتلك القوة والسلطة و المنصب، يعيش حياته بلا كَدر ولا مُرّ ، ثم وما هي فائدة العلم الذي تزعم به إن لم تستطع أن تعمل في ماتحمله منه؟

اولئك المنتفعون بعلمهم انقرضوا!

الآف الأفكار تعصف في ذهني ، تُقرع وصداها يتردد وكأنك تصرخ بين جبالٍ شاهقة بينها وادٍ سحيق.

في نهاية المطاف ليس على ريم أن تتسبب لي بأي مشكلة فقد وفرنا لها كل سبل الحياة الكريمة ،ما يعملُ الناس لتحصيله نعطيها أياه على كفوف الراحة ...

قطع أفكاري نزولها بثوبها الأسود ،بدت كأميرة خارجة من عالم الخيال ،ترفع بيديها ثوبها لتمنعه من أن يجتر على الارض، رغم أني لا أحب الثياب الطويلة إلا أنّ صغيرتي هذه تصنع الجمال من الثياب مهما كانت ...فكل الثياب تليق بها.

قلت بثبات: تأخرت دقيقتان!

ردت بتذمر:أين أبي؟

ياقوت: سنذهب لوحدنا وسنلتقي هناك.

ليرد عليها صوتها الحزين:لماذا يتهرب من لقائنا دائمًا؟

لقد أعترتني الدهشة لماذا تسأل عن والدها الذي بطبعه مُتغيب؟

هي تفتقد غيابه، تفتقد وجوده أم اهتمامه، لكنه برغم غيابه يعطيها المال ، إننا نمتلك الكثير منه، ووالدها يلبي جميع احتياجاتها .

لكنها تحتاج وجوده!

جميعنا نحتاج الى أب ينير الحياة ويشعلها ، فلا عطاء كعطائه، ولا مجالس كمجالسه، ولا ضحكات تَعلق في الذاكرة كتلك التي نتبادلها معه ،أنّ الأب لرونق الحياة وعودها، واهتمامه بك يشعرك بقيمتك، بقدرك، يعطيكَ وجوده القوة لتستمر ،والصلابة لتقاوم، الأب هو تلك الريح الرطبة التي تداعب قسمات وجهك فتعطيك الراحة.

ماكان الأب يومًا ليغيب!

ياقوت بتعجب واضح : ماهذا الكلام الان؟

استدارت ريم وكأنها لم تقل شيئا ،كانت تريد أن تخفي الحزن الذي يلوح في عينيها لتحافظ على قوتها ، استدارت وقالت متصنعة الابتسام: لنذهب ...

ياقوت: لم أعد أفهم تصرفاتك الغريبة، ولا يهمني إلا أن تتصرفي بلباقة واتزان كما علمتك.

أشاحت بنظرها عني وأخذت نفسًا عميقًا ، أصبح حلمها أن تكون بين أسرة تحبها، تحتضنها إذا ما تألمت، تبادلها دفئ الشعور وعذوبة الكلمات، يتحاورون معًا في أمور الحياة ويجتازونها .

لكن لا أحد منا يختار عائلته في نهاية المطاف!

ريم

صعدت بجوار والدتي، التزمت الصمت كعادتها، وظللت أنا أرقب الطريق في صمت، علاقتي بأمي شديدة البرود، فكلما أردت محادثتها أصرت التزام القواعد فتدفعني للنفور، نحتاج لأن نتصرف بعفويتنا وطبيعتنا في كثير من المواقف فالتصنع أمر صعب بحق!

أو هكذا أراه أنا، بالرغم من معرفتي التامة بتصنع الاخرين.

أهمس لنفسي مواسية أياها: ستتحسن الأمور فلا حزن يستمر ولا سعادة ، فليتصنع الناس كما يحلو لهم، وسأتصرف أنا بعفويتي، فلو كان الجميع مستهلكون الفؤاد فلن أكون يومًا مثلهم.

:وصلنا !

اخيرًا نطقت أمي بهذه الكلمة، فترجلنا من السيارة، رأيت أبي يحادث شخص لا أعرفه أنا، بدى لي غريبًا، اقتربنا منه فالقت أمي التحية وأنا من بعدها، لالحظ نظرات أبي لامي المتفحصة، يبدوا أن ثيابها لم تعجبه كالعاده، ولكنه ما زجرها قط، بل ويقدم لها الكثير من المال لتشتري الكثير منها، وتصبح أجمل النساء.

عرّف والدي الرجل بنا قائلا :زوجتي ياقوت وهذه ابنتي ريم ...

نظر الي الرجل وقال:كبرت أميرتنا، يال سرعة الايام..!

ضحك والدي وبدأو يتبادلون أطراف الحديث بنهم، ثم اشارت لي امي بالذهاب للتّحدث مع أقراني الذين فيهم ابن صاحب الحفل، قلت لامي: لا أريد!

فارهبتني بنظراتها، تحركت مكرهة، تقدمت بخطواتي المتلعثمة، لإتذكر كلمات الكتاب وكأنها تُكتب أمامي الان، ألقيت التحية عليهم وشردت في تلك الكلمات مجددًا، فتهيأ لي افساد الحفل، رأيت السيدة صاحبة الحفل ،التي ما أن هلّت بثوبها الابيض حتى سارعت أمي لتكون من اوائل اللواتي يقدمن التحية عليها ،وكعادتها عادت حركاتها المشيرة لي بأن اتي لأقدم التحية عليها، أمسكت كأس العصير الوردي وتقدمت منها مبتسمة وسكبته عمدًا على ثياب السيدة صاحبة الحفل ، أعتذرت لها ببضع كلمات، وتركتها تولول وتندب حظها وتشتمني، غضبت أمي وذهبت برفقة السيدة للداخل لتساعدها في تغير ثوبها، وتابعت أنا، وجدت نفسي بعد لحظات اسقِط الصحن

الذي بين يدي ليتحطم لقطع متناثرة، هذه المرة صاح أبي بغضب: أجننتِ!؟

ثم تنحنح معتذرًا وأخذ يشكوا لهم تعبي الذي اصطنعه هو ليبرر أخطائي، قرر أبي أن نغادر، وبالفعل دقائق وكانت أمي بجواره في سيارته وأنا في الكرسي الخلفي، الجو كان مشحونًا بالقدر الكافي، لذلك ابتلعت لساني طوال الطريق، وإن لم افسد الحفلة بأكملها فقد سببت إرباكًا بما فيه الكفاية!

وصلنا للمنزل، وهرعت لغرفتي وكأني رصاصة منطلقة من فوهة مسدس، كنت أعلم أنهما سيغضبان وبشدة، فأردت الأبتعاد، أغلقت الباب في ظل صرخاتهما المتوالية، ثم بدأ أبي بالقاء اللوم على أمي فغضبت هي الاخرى.

يبدوا أني لم افسد الحفلة فحسب بل علاقتهما !

استندت على الباب وأخذت التقط أنفاسي: يا إلاهي ماذا فعلت!

سينهياني غدًا!

عاد صوت الهمس ،فعلمت المصدر هذه المرة دون بحث، فتحت الدُرْج فإذا بالكتاب يعلوا القطع القماشية مجددًا ومفتوح على صفحة أخرى ...

كُتب

"هل مللتِ العالم؟

ما رأيك بالرحيل معي؟

بالغرق بين صفحاتي؟

والإبحار برفقتي لنجتاز المعيقات؟
مارأيك أن نغادر هذا المكان
فلعل وجودك لم يعد مرحب به
حيثُ أنت!؟

عادت الفتاة مكسورة الخاطر تحمل مشاعرها المبعثرة بين ذراعيها وكأنها تحمل قطعة لحم متفحمة، تتساقط أجزائها كلما زحزحتها أقل النسمات ، فوجدت صديقها الكتاب يعرض عليها السفر في رحلة هو كاتبها، وهي البطلة، فتقرر الهرب من المأزق لمكان تظنه هي أنه الافضل، فتوقع أسفل الصفحة، وتتم الصفقة."

ريم: هل أذهب؟ !

لا أعلم آن كان ذهابي حقيقة أم خرافة فقط، ولست أدري اذا كانت ظروفي هي التي تسببت لي بهذه الصدمة النفسية التي دفعتني للهلوسة ،لكني لا أمتلك خيار أفضل من التجربة، فلو كانت العاقبة ستلقي بي لقعر الندم سأكون قد أشفيت غليلي،كما أنّ الرحيل في مثل هذا الوقت سيفيدني ...

سارعت لفتح خزانتي وأخذت حقيبة ظهر كبيرة بدأت أجمع بعض الثياب التي تهيأني للمغادرة، ظننتها لعبة، حملت الثياب وبعض من المأكولات التي كنت أخبئها في خزانتي ، أمي تمنع تناول الطعام في غرفة النوم لذلك لا أمتلك الكثير منه هي فقط بضع من حبات الشوكولا واكياس شيبس وزجاجة عصير وأخرى للماء وقطع بسكويت، أخذت هاتفي وسماعته غطاء الرحلات ، ثم بدلت ثيابي...

وقفت أمام المرآة أنظر لنفسي بإعجاب شديد ، وكأني قادمة من إحدى أفلام المغامرات، ألبس بنطال جيشي و"تيشيرت"أسود اللون ، أربط شعري للخلف ، أمسك قلمي متأهبة للتوقيع ...
أعتصره بين أصابعي، أتنفس وكأني أقذف لرئتيّ النفس الاخير و أوقع في اسفل الورقة .

ظللت أتلفت حولي كالبلهاء، انتظر أن يحدث ما هو غريب، ولكن لم يحدث شيء.
أعدت التوقيع ذاته مره اخرى لكن لا جديد ، الحال كما هو ، انتابني شعور الغضب و الألم والضياع، أصبحت مثقلة، حائرة، ألقيت بالكتاب في إحدى أركان الغرفة وجلست على الأرض أبكي وأنا مستندة برأسي المتعب على السرير، هل كنتُ أنتظر معجزة لتخلصني من مأزقي ؟
بدأت أتصرف بجنون، يبدوا أني لست على ما يرام ، على هذه الحال سأخسر نفسي بالإضافة الى كل الخسارات السابقة، أصبح الجميع يستاء مني الآن!
ظلت تبكي رثاء مافقدت حتى غلبها الوهن ونامت وهي على تلك الحال ...
ياقوت
تُرَبّي لتشقى !!!
ماهذهِ الفضيحة؟

أقول لها التزمي الادب من هنا فتفسد الحفلة من هناك!

أحمقاء هي!

دخلت غرفة نومي بغضب بعد أن تعرضت للتوبيخ الشديد بفعل تصرف ريم المحرج، لا أعلم ما بها، لكنها غريبة الأطوار هذه الأيام !!

وغادر زوجي كما يفعل دائما.

شعرت بالأسى على ابنتي الوحيدة بعد أن انتهت نوبة غضبي، أردت الذهاب للإطمئنان عليها، وتوبيخها لكي لاتكرر فعلتها، طرقت الباب مرة واثنتان وثلاثة ولم تجب، قلت: ريم افتحي هذا الباب!

لاتتصرفي كالأطفال...

لكنها لم تجب!

إحساس الأم الثاقب الذي في معظمه يصيب، حاسة الأم الثاقبة بأنّ هناك خطر قادم أو أمر غريب سيحدث دفعت الشك لقلبها ، نَدَهتْ على الخادمة لتحضر المفتاح الاضافي، فأتت ماري مسرعة تحمله بعد لحظات ....

فتحوا الباب ولكن!

لم تكن ريم في غرفتها، فأصاب أمها الفزع، أخذت تصرخ :ريم، ريم ...أين ذهبتِ ؟

تزيح الستائر ،تفتح الخُزن...تبحث في هلع.

حتى قالت ماري: لعلها في الحمام سيدتي!

جَرت الأم نحوه، وهي لا تدرك مما تخاف، أتخاف أن تكون قد أحدثت سوءً بنفسها؟ أم أنها غادرت دون رجعة؟

"فارغ"

قالتها وهي تزيح خصلات شعرها المتناثرة وقد تجمد الدم في عروقها واضطرب النبض، قالت بصوت محبط مخاطبة ماري: هل رأيتها تخرج ؟

ماري: لا يا سيدتي، كنت في الحديقة أنظفها ولم أرى الانسة ريم بعد مجيئكم ابدًا.

خرجت ياقوت مسرعة تصرخ في المنزل: ريم كُفِ عن العبث، هيا أخرجي، ريم! !!

أمسكت هاتفها واتصلت بزوجها لتنقل إليه هذه النكبة آلا أنه لم يُجب!

عاودَت الاتصال مرارًا، وهي تدخل غرفة ريم مجددًا ،لكنه لم يردّ على أي من اتصالاتها، في آخر محاولاتها وجدته مغلقًا، فجلست على الأرض تُكابد هول الأحداث التي أفزعتها بسرعة حدوثها ....

في صمتِ الدموع

بكاء

في غصّة البوحِ

اكتظاظ

وفي إنوار الحياة

عتمة

في تلك البسمة

حزن دفين

وفي لمعة تلك العيون

ألم

وفي بقائك في السرير

داء

إنها الحياة!

عليك أن تتحلى بالقوة لتتصدى على مرارة الأوجاع ،أن تكون صبورًا فالفرج يأتي لكنه قد لايأتي على الفور، عليك أن تدرك، أنك كما تعاني هناك ايضًا في هذا العالم الكثير من المعاناة، وأنك لست الوحيد الذي تغرق ،وانما أنت تلحق الرّكب، فإذا ما كنت غريقًا فكن أسعد الغُرقاء.

ستَعْلق بين كثبان الرمال ونسمات الهواء، ستعلق حيث يقطن الأموات ...إن فكرت الفرار!

أختفت ريم، وكتبت عبارة "اوشكوريداد " بلون دموي على الجدار!

وهناك على نسيم الشاطئ اللطيف وحرارة الصحراء ،ما بين الرمال والماء، تنهض بتكاسل ، تضع يدها على رأسها المثقل الذي أصابه الصداع، وتنظر حولها.

عندما بدت الصورة واضحة قي مخيلتها ،اعترتها الدهشة ، الخوف ،وشيء من الاوعي، وشعور يخبرها أنها تحلم ويهمس لها بأن تستعد لمواجهة كابوس قادم ....

على يمينها البحر في مداده والشمس التي تبسط أشعتها على سطحه بدفئ معلنة الغروب، الأفق أزرق!

وعن الشمال...صحراء لاحياة فيها، رمال تُراقص في ذراتها معزوفة الرياح.

ريـم

أشعر بالوهن!

أين أنا؟

ثم ماهذا المكان؟

لم أرى في حياتي قط مكان يجتمع به البحر بالصحراء؟ !

ويختلط نسيمه بغصّة الكثبان!

أحقيقي ما يحدث؟

نهضت...وبالكاد حملتني قدماي!

وجدتُ حقيبتي أنها ملقاة على مقربة مني، حملتها على ظهري وأخذت أمضي وقدماي تلامسُ الماء، أتحرك بلا وجهة، وبلا شعور...

فقط صدمة، والآف الاوجاع في القلب ،تلك التي لم تكن مرارة الكلمات كافية لوصفها فظلت لتكون غمامة تحيط قلبي ...

الحزن الكثير يجعل منك ثملًا تجاه مفاهيم الحياة، لاتدرك أين تذهب، وإلى أي الطرق تسير، فتسقط دموعك لتلامس ابتسامة ثغرك!

وهذه كانت حالها ....

تمضي والدموع تنساب من عينيها، والإبتسامة تشق نفسها شقًا لتبرز هي الأخرى ،الآف الشعور يضرب بعضه بعضا ...

ولم يعد يهمها أين هي!

فقد غرقت الاف المرات وهي لاتستطيع العوم!

صارعت ضراوة الأمواج بيديها العاريتين، وكانت وحيدة طول المشوار.

فهل يهمها ما هي فيه؟

كانت الظلمة تحلّ رويدًا رويدًا، يبثق السواد نفسه ليلتقف النور ، تلفتت حولها الضباب يزداد شيئًا فشيئًا، لم تعد ترى أمامها بفعل الكثبان الرملية، لم يسبق لها وأن سمعت بصحراء تعانق ذرات رمالها البحر ....لكنها ها هي تراه بأم عينييها.

مسحت دموعها وبدأت تبتعد عن البحر ،وجدت جبل مرتفع فاختارت ركنًا أسفله لترقد عنده وتعلن المبيت.

فرشت عدة الرحلات ،أخذت غطاء النوم ووجدت بعض المعالق البلاستيكة وولاعة وسكين ، أخرجت الولاعة واخذت تخطوا على الشاطئ، لطالما تمنت العزلة في مكان لا يزعجها فيه أحد، لكنها لم تتمنى أن تكون وحيدة بهذا القدر!

أهابها حطام السفينة الهائل الذي يستلقي جثة هامدة على معزوفة الامواج ، بدأ الخوف يغرس نفسه في دمائها، فكرت في الدخول للداخل واستكشاف الأمر فلم تعد تمتلك سببًا يدفعها للبقاء حية،

لكن الظلمة ارهبتها فجمعت الأجزاء المتناثرة وعزمت على أن تؤجل تلك الفكرة للغد ، عادت واشعلت النار ...

أحرقت يدها فهي لم تعتد على هذه الأجواء، وسرعان ما وضعتها في فمها لعلها تقلل قوة اللسعة، لو ترى أمها حالها هذه ستُقطع سنوات التربية على رأسها .

ضحكت ساخرة مما هي فيه، لقد غامرت بدفئ سريرها والضغط النفسي على القدوم هنا للصحراء والبرد القارص!

تُرى كيف ابتلعني الكتاب واحضرني الى هنا؟ !

وكيف سانجو عندما ينفذ الطعام مني؟

لقد ارتكبت حماقة قد تقتلني ، فهل ياتُرى سارجع للمنزل في يوم من الأيام ؟

أم سأموت هنا؟

بكيت ....

لا إريد الموت هنا!

ولم أكن أريد مغادرة والدَيّ، لكنهما دفعاني للفرار، ظللت ابكي حتى فقدت قدرتي على مواصلة البكاء، بدأت بالارتعاش، البرد قارص، أنه يلدغ جسدي، أخرجت كل ما أمتلك من ثياب في حقيبتي وارتديتها دفعة واحدة ، وجلست استدفئ بالنار ...

انظر للسماء الممتدة بامتداد الأفق، لم يسبق لي وأن شاهدتها هكذا ، أردت من نفسي أن تهوّن علي شدة الموقف، فبدأت بتخيل أبي وأمي هنا وأني أحادثهما بما لم أستطع أن أنبس به يومًا!

قلت:

أتعلمان لماذا هربت؟!

لم أكرهكما يوما بل كرهت غيابكما المتواصل

كرهتُ قلة اهتمامكما....

لم تكن الحياة فقط جمعًا للنقود! !

فأنت يا أبي كنت تغيب ولا تسأل

حتى أنّا نتصل ولا تجيب !!

تتشغل طوال الصباح ثم

تاتي منهكًا في منتصف الليل

تأتي لتنام!

لا أنكر أنك وفرّت لي نقودًا كثيرة اشتريت بها كل ما ارغب من ثياب

وأحذية ولكن لم أستطع أن أشتري اهتمامكما بها!؟

أما أنتِ يا أمي!

فماهكذا تكون الحياة!

تلقين الأوامر فحسب ، أمَا فكرتِ يومًا السماع!

كل ما اتيتكِ وقَفت قوانينك في وجهي كاللهب

منعتني منكِ في كثير من المرات!

كنت أتمنى أن ألبس الحجاب وأن تفعلي ايضًا

ماذا سيفيدنا "مسلم"بالهوية إن لم نكن يومًا في سلوكنا مسلمين!

صَمتت تبتلع غصتها وتمسح العَبرات الحارة التي بدأت تنساب...

سمعت صوت يهمس: ريم ..ريم

من ينادي عليها في هذه الظلمة الدامسة ، في مكان لا يوجد فيه أحد!
تكرر النداء:ريم ..ريم ...ريم ..تعالي إلي!
لم تعد تستطيع الحراك فقد سيطر الخوف عليها تمام السيطرة، أرهفت سمعها ...ثم قالت بحماس خفيف:إنه صوت الكتاب ! أين هو؟
أخذت تنثر محتويات حقيبتها وتُفرغ ما فيها ، فلم تجده، تذكرت كيف ألقته في أحدى زوايا الغرفة وكان هذا المشهد أخر لقاء بينهما ، لكنه ينادي الآن!
قررت المخاطره، فهي لن تبقى حتى الصباح تحت هذا التشويش المطلق ، همست لنفسها :
تشجعي يا ريم، لقد تغلبت على مخاوف اكبر من هذه لا تكترثي .
أخذت قطعة خشب وأشعلت بها النار، كانت تمسكها بكلتا يديها خوفًا من اسقاطها ، وقررت المواجهة فهي الوحيدة التي تستطيع أن تريح أفكارها قليلا ،المواجهة هي السيف الذي ستحمله الان...
مرتجفة الأقدام تتقدم بخطى متلعثمة نحو بقايا سفينةٍ تغفوا على الشاطئ بسلام ، وقفتْ تنظر لجوف السفينة المظلم، هناك وهج أحمر يخفق في قعر الظلمة المهيب يلمع ويلوح لي أن اتقدم نحوه، سقطت مني شعلتي فأطفئتها الرمال المبللة، خِفت، أردت العودة ...
استدرتُ لكني وجدت النار التي اشعلتُها قد أَطفَاتها الرياح الباردة، سأبكي!
لكن الوهج الاحمر قد طوقني وكأنه يمد ذراعه إليّ ليقودني حيث يريد ، تبعته ...

بمجرد أن بدأت أخطوا في داخل الحطام المظلم تصبح الأرض أسفل قدمي منيرة بلون الدماء، الأحمر الدموي يشارك القمر إنارته ليثبت أنه مضيء كذلك.

أمضي دخولًا في أحشاء السفينة ، توقفت فقد رأيت الوهج الاحمر يتشكل ليصبح كالبشر تمامًا ...جُثث!

صِحت بفزع:جثث ...إنها جثث؟!

الامواج ذاتها، الكثبان الرملية ذاتها التي رأيتها اليوم، لكن هناك الكثير من الجثث، أردت العودة، كل ما أريده هو الخروج من هنا...!

أتى صوته الهادئ: اقتربِ ...ريم!

اقتربت تحت تاثير الخوف ومن كثرة الملابس التي ارتديها كانت حركتي شديدة الثقل وكأني فيل تعلم السير حديثًا ...

رأيته ،الكتاب ذاته ،إنه كتابي أجل!

هناك!

عمود مرصَّع بالجوهر بدى واضحًا فقد كان يلمع بخفوت الإنارة، و" اوشكوريداد "يستقر عليه ،كان مفتوحًا، فاقتربت دون خوف وكأني وجدت شخص اعرفه بعد طول وحده ، كُتب ...

"لستِ أول طير جريح يتركه الناس وحيدًا ...

ولن تعودِ إلا بعد أن تتمِّ المهمة ...

ستزورين القرية المنسية،

فقد وقّعتِ عقدًا

ومن منا بات يأمن العقود!

تُعقد الخسارات دومًا
فالنجاح لا عقد له ...
والمواجهة لاعقد لها!
وكلاهما حل لمعظم مشاكلنا
لكنكم تحبون الفِرار
سيبتلعك الواد في ظلامه،
ولن تستطيعِ الهروب!
المواجهة هي حلك الوحيد
فبكل ما أوتيتِ من قوة
واجهي!"
صاحت ريم بغضب: أكرهك أكرهك أعدني لمنزلي ،لا اريد أن أزور أي مكان، ابتعد أيها الوهج الكريه ،أتركني ...
أخذت تضرب الوهج الاحمر وكأنها ستؤذيه، لكنه طيف وفي عالم الاطياف لن تفيدك المقاومة .

اقترب الوهج منها، يحتضنها، تشعر بحرارته في جسدها وكأنه نارٌ كاوية، لم تعد قادرة على الحركة فقد تخدرت بالكامل، بلكاد هي تقف.
بدأ الوهج بالارتفاع من أخمص قدميها الى رأسها رويدًا رويدًا، بدأ نَفَسُها يَضعف، وكأنه كالدخان الذي يُتلفُ رِئتيها، وكأن هناك حبلًا يطوّق عُنُقها وما هي إلا ثوانٍ وبدأت تفقد توازنها، تترنّح كمن

أكثر الشرب، وتستقر أرضًا ،ولكنها لاتسقط وإنما تهوي في قاع أشد ظلمة، لعلها حفرة عظيمة التهمتها لتقذفها لمكان أخر ...!

فتحت عينيها بتعب قد أهلك ملامحها ، لازالت تحت تأثير الارهاق فلم تذكر ماحدث معها إلا بعد وهلة ، لتنهض بذعر تلتفت حولها فتجد نفسها على جبل مطلٍ على قرية، في أسفله وادٍ واشجار متشابكة ...

قالت وهي تزيح خصلات شعرها المبعثرة: كيف أتيت إلى هنا!

ألم أكن في الصحراء قبل لحظات؟

ثم أين البحر؟!

ابتسمت، لعل انتقالها من غرفتها إلى صحراء وبحر هو أكثر عجبًا مما تتسأل عنه الان!

أخذت تخطوا بين الأشجار المتهالكه نُزولًا لتلك القرية، فتعثرت فسقطت، نهضت ويداها تقطر دمًا ، تنظر إليهما بفزع، تكاد تصرخ مجددًا ، لكن فيما سيفيدها الصراخ! ؟

الدموع والصراخ هما مجرد تعبير عن الألم ،إنهما شعور العجز عن قلب الموازيين ورغبة جامحة في الإنسحاب مما يحدث في التبخر وكأنك لم تكن يومًا ،إنهما تراكمات الألم بالتعاون مع الظروف، فيكتسحانك ليبكيانك.

كانت تنزل المنحدر بحذر، فمرة تنزلق قدماها ومرة تتعثر، هل هي الان في القرية المنسية التي تحدث عنها الكتاب! ؟

لم تعلم أنها مراقبة وأن هناك عينان لم تبعداها عن ناظرها طوال الطريق، أي مُذ أن حلت ضيفة في هذا المكان فاقدة للوعي.

بدأ المطر يهطل بغزارة فالتفت ريم حولها لتجد كهف في نهاية زقاق طويل، تشجعت وقررت الاحتماء به من المطر الشديد، أخذت تجري إليه وهي تنظر لمكان الخطوة قبل أن تخطوها، قبل أن تقترب سمعت آنين و صراخ وكأن من في داخل هذا الكهف يتعرض لأقسى انواع التعذيب، لكنها لم تعد تخشى شيئا!

ماذا ستخاف! ؟

وماذا ستخسر؟ !

استخاف أن يغرز خنجر في وجع قلبها؟ !

فليفعلوا لعله يخلصها من ألم قد فتك به!

ضحكت ساخرة من نفسها، لكن سرعان ما استفاقت بعد أن شعرت بخطوات تقترب منها، تلفتت حولها أين ستختبئ ،نظرت للاعلى وبدأت تتسلق الصخور وانكمشت في المرتفع البسيط خلف ضخامتها،تنظر تارة وتختبئ أخرى.

أنه شخص يتشح بالسواد ،لا معالم له ،أو لعلها لاتَرى لها ملامح ظاهرة، يحمل على ظهره جسدًا لشخص إما قد غاب عن وعيه وإما هو ميت، ليصل به لباب الكهف فيخرج صوته المخيف ليجتاح المكان ،قائلا: صنديد أين أنت؟

ليأته صوته الذي لا يقل اخافة عن صوته مجيبًا :هنا!

ليلقي بالجسد الذي يحمله على عتبات الكهف ويردف: ضيفك الجديد!

فيخبره ذاك الصنديد أن يتركه وأنه سيأخذه حالًا...

وغادر ذاك الاسود وترك المكان!

ماذا يحدث؟ !

يا الاهي!

اضطرت للنزول مجددًا لكنها كانت تهرب في الإتجاه المبتعد، ذاك الذي أتت منه ،تهرب فما إن خرجت من الزقاق حتى اقتحمت الغاب ، اشجار متراصة، بدت وكأنها تعلق في شبكة عنكبوت!

ريم

لا أعلم لما أهرب أو الى أين سأذهب؟ فأنا أبتعد عن ذاك الصنديد وأتبع ذاك الاسود ...

تُرى من هما؟

ومن الذين يقطنون في جوف تلك الظلمة! ؟

لكن فجأة رأيته، عرفته!

وكيف لي أن أنسى من كان متسببًا في أوجاعي!

" اوشكوريداد "يستلقي بهدوء على صخرة في مكان يخلو ما حوله من الشجر، كان حجرًا كبيرًا وما حوله رمال، رمال تشبه رمال الصحراء التي أتيت منها، مبللة!

اقتربت منه فأذا بالضوء الأحمر يظهر بخفوت

لم أخف منه هذه المرة ...

اقتربت وقرأت ..

"تهلكهم أنفسهم

وأنهم

يستحقون العذاب!
تدفعهم مخاوفهم
للهروب ، فيقعون في شباك خوفهم
فيحملهم السواد ليلقيهم
أمام شجاعتهم
في معركة ضارية
بينك وبين أشد ما تخاف...
من ينجوا هو ذاك الذي يواجه
خوفه ولا يخاف
فالشجاع يحترم الشجاع
،والسواد هو الخوف!

مررتِ بتلك الواد وستعودين لتلك الواد "
التفّ الوهج حول أوشكوريداد وبدأ يتداخل بين صفحاته حتى اختفى كلاهما ...
في مكان آخر، تجلس باكية، وقد أضناها الفقد وأوجع قلبها، فبعد اختفاء ابنتها الوحيدة، بدأت الظلمة تتجلي أمام نور البصر، فرأت كم كانت مذنبة بحقها، وكم كانت مقصرة، تذكرت...
كيف كانت تبعدها، تغلفها بالقوانين التي اوجدتها هي من العدم ووضعتها أمامها بل فرضتها على تلك المسكينة!

اختفت ابنتها في غرفة مغلقة، ولم تجد خلف غيابها إلا ذاك الكتاب الذي اسمته بعد الحادثة "الغريب الاحمر ".

ياقوت

كنت أعلم بأنها تمتلك كتابًا لكن لمرة واحدة غضضت النظر عنه، قلت ستنهيه وتتخلص منه، لكنها اختفت وبقي هو!

إنه أغرب كتاب أراه، مُغلَّف بمخمل أحمر ، ويضيء مساءً بوهج أحمر، صفحاته سوداء قاتمة، اقتربت ....

حملته وتحسسته بأناملي، ففتح لوحده ،شهقت فإذا بخطوط حمراء تندمج لتُشكل كلامًا:

"كانت خطيئتها، أنها تصارع ظلمتها

من يغرق في ظلمة نفسه قد يغرق للأبد

ولن ينقذه من ذلك إلا نفسه!

تلك التي كرهها في اللحظة الاولى

من لم يصبر على البلاء والشقاء

يبتلعه اوشكوريداد ...

فإما مواجهة

أو هلاك!"

سقط الكتاب من بين يديها وسقطت هي أمامه بعد لحظات، هل من المُعقل أن يكون قد ابتلعها الكتاب؟

لقد قدموا بلاغًا للمراكز الأمنية والجميع يبحث، كما قد أعلن والدها عن مبلغ مالي ضخم لمن يعثر على وحيدته !
عادت لتنظر إليه وتعلق به عينيها ، تحمله وتهمس: ريم غاليتي هل أنتِ هنا!

في الطرف المقابل في الغابة المخيفة تجلس مستندة على جذع إحدى الأشجار، تُكور ذاتها لعلها تخفف على نفسها هول مايحدث، لم تعد مندهشة، لكنها متعبة وفي مكان مخيف، وكل الأماكن التي لايشاركنا فيها احباؤنا مخيفة، فكلما كنت وحيدًا كلما زاد خوفك.
ابتسمت بألم لطالما كانت وحيدة، معتزلة هذا العالم بما فيه، لم يكن بمقدورها حتى أن تتخذ قرارًا !
لم تكبر على ذلك ... لذلك مانقوم به في حياتنا لأول وهلة يكون شاقًا.
أتاها صوت منادٍ، فتلفتت حوله ظنت أن الكتاب عاد لينادي ولكن الصوت القادم هذه المرة لم يكن له بل لأمها ، نعم أمها!
نهضت ريم من مكانها تبحث وتدور حول نفسها في حلقة مفرغة وتنادي:أمي أسمعك انا هنا! أمي...
أغلقت ياقوت الكتاب بيأس ساخرة من حماقتها : كيف سيبتلع ابنتها كتاب؟
أوَ تلتهمنا الكتب كما نلتهم صفحاتها بنهم؟
هل حقًا هناك كتب حية ...

نحن الذين نحيي الكتب بقرأتها وهي التي تحيي فينا الكثير من كل شيء، فبين دفات كتاب تخوض تجارب لم يسبق لك أن خضتها، تتعلم من أخطاء الأبطال، وتنتبه من اللصوص، يكشف لك الكتاب جانب آخر من العالم فقد يكون الكاتب غنيًا ويكتب عن محيطه أو فقيرًا يخلق قصة نجاحه!

نحن نعيش في الكتب وكلماتها تسكننا ...

بكت ريم بعد سماعها لصوت والدتها، نحن دومًا بحاجة لعائلة نعيش في دفئها، مسحت دموعها بعد أن أحست باقترب أحد منها، أخذت تتلفت حولها وقد بدأت رياح الخوف تقتلع قلبها ،رأت بجوارها شجرة متكشفة الجذور فقبعت تحت جذورها بترقب، صاحت معدتها بتذمر تشتكي قلة الزّاد فوضعت يدها عليها لتعتصرها وتكتم صوتها ،ثوانٍ قليلة ومرّ الاسود من أمامها، أغمضت عينيها وأخذت تهمس لنفسها: أمدني بالقوة ياالله فقد تلاشت قوتي، احفظني واصرف عني الأذى، يارب أعلم اني مقصرة في كل جانب يتعلق بديني لكنك كريم ياالله فانقذني !

أخذت تنظر بحذر فوجدته مستلقٍ يتكئ على الشجرة أمامها، كادت تصرخ إلا أنها تذكرته وهو يحمل ذاك الجسد على عاتقه فتخيلت أنه سيفعل بها هذا فصمتت ، تحاول التمعن في ملامحه ولكنها تخشى أن ينتبه عليها ، اخيرًا قررت الهدوء وتجنب النّظر إلى تلك الجهة التي يجلس هو فيها ،سمعته ينطق:أشتم رائحة خوف ولكني لا أستطيع

تحديد مكان الشخص الخائف لازال متمسك ببضع مما لديه من قوة

...

ريم

إنه الأسود الذي تحدث عنه الكتاب، اسمه ايضًا كَـ لَونه، لم أستطع تحديد ملامحه....

آلمتني ساقي التي أجلس عليها منذ مدة ، ولا يزال هذا الأسود مستندًا على تلك الشجرة التي هي في مدى رؤيتي، أردت الصراخ من الألم ولكنه سيأتي إلي ،فكرت أن أحرك قدمي لأريحها لكني خفت، وكلما خفت رأيته يتحرك وكأنه يبحث عني، فادركت أني إذا ما بقيت هكذا سيمسك بي لا محاله ، قررت أن أبعده عن نظري وفكري، وأخذت أردد الأذكار التي احفظها ، وبضع آيات متفرقة ، لم يشجعاني والدي يومًا على حفظ السور والاحاديث، كانا مسلمين كلقب لاأكثر ولا أقل من ذلك، قلت: نعصي الله الذي وهبنا كل النّعم وهو قادر على أن يسلبنا إياها في غمضة عين ! نشكره على فضله ونعمه بعصيانه

يالَ سُخفنا !

غفوت وأنا أستذكر أن الله معي، كان الشعور بالقرب مُطمئِن إلى حد ما، فما بالك إن كان القادر على كل شيء هو من يقف معك هو من يستمع إلى حديثك، ويبشرك أنه لن يتركك وأنه سيستجيب لدعوتك!

غفوت براحة وكانت أول مرة أنام فيها واصحوا وأنا في المكان ذاته منذ أن بدأت رحلتي في متاهة "اوشكوريداد ".

صحوت وكان الأسود قد رحل، تسللت ببطئ واستلقيت أرضًا اتلوى بجسدي كما الثعبان لأتيح لعضلاته متسعًا أن تتمدد بعد طول انكماش .

أخذت امضي وأنا عازمة على البحث عن طعام فقد يغشى علي من شدة الجوع !

قلت بتذمر: ألا يوجد ما يؤكل في كل هذا الغاب؟!

رأيت كوخًا ، كان منفردًا بين الشُجيرات وكأنه هَجَر تلك القرية واشترى العزلة، مبني من الطين يتضح ذلك من قوامه، له نافذة وباب متهالك ، اقتربت وطرقت الباب ،رغم خِفت طرقتي إلا أني شعرت أن هذا الباب سيسقط!

عاودت الطرق بقوة ثم لا ادري مالذي دهاني فذهبت أختبئ بين الشجيرات ، فُتِح الباب وظهرت امرأه تحمل عصا خشبية وتتقدم إلى الخارج ، ا

ادهشني وجود امراه في مثل هذا المكان، فاستبشرت خيرًا ...

كانت بشرتها داكنة وثوبها أبيض فضفاض علق به بعض الطين كما يبدو فأصبح يتشح بشيء من لونه، تقدمت وكنت أستعد للهروب إذا ما فكرت إيذائي، لكني تقدمت!

كنت ارفع يداي وكأني لص هارب قبضت عليه الشرطة متلبسًا، تحدثت معي بلهجة غريبة لم أعرفها لكنها كانت غاضبة بدى ذلك

واضحًا من نبرة صوتها الحادة فقلت :أعتذر يا سيدتي! هل تتحدثين العربية فأنا حقًا لم أفهم ما قُلتِه؟

علت الدّهشة ملامح وجهها وأنزلت العصا قائلة: أعربية أنتِ؟

فرحت لأنها فهمت كلامي ، قلت بتلعثم لشدة حماسي : أجل!كنتُ في منزلي و لا أعلم ما حدث لكني وقَّعت على كتابي ونمت وإذا بي في مكان لا أعرفه ...

قاطعتني قائلة: ما اسم ذاك الكتاب؟

قلت :اوشكوريداد ، ولعلها بالانجليزية تلفظ اوسكوريداد ، ولا معنى لها.

قالت: اتبعيني يا صغيرتي.

دلفنا لداخل المنزل كان مكان شديد التواضع، هناك العديد من الزجاجات تصطف على الرفوف القديمة، ورفوف أخرى تحمل الكتب، وسرير في الزاوية وصندوقان متوسطا الحجم بجواره، كان هناك مقعد بجانب الرفوف وايضًا بساط خفيف رثّ أجلستني عليه واحضرت لي بعض الثمار، إلى حين أن تعد الغداء ،كنت آكل الثمار بنهم لم أعلم ما نوعها ولا أريد أن أعلم كل ما اردته هو إشباع معدتي الفارغة!

أرقبها وهي تشعل الحطب في مكان مخصص لذلك، ثم وضعت ذاك القدر الأسود عليه وبدأت تضيف العجائب!

سندت رأسي المتعب على الجدار وأخذت أتاملها وهي تضيف ما تضيفه، لم اكن استطيع تميز أي شيء مما وضعته ليس لعجزي وأنما

لشدة إعيائي ،غفوت ، كان التعب قد تفادى حدود قدرتي في المقاومة...

جَنّات

أعيش هنا منذ وقت طويل، في يوم كسائر الأيام رغم أن الأيام لا تتشابه أبدًا خاصة في هذه الغابة، كنت أحضّر بعض الأدوية التي اعتدت تصنيعها وبيعها لكي أستطيع العيش بما أجنيه جراء بيعها ...

فإذ بشخص يطرق الباب، لم اعتد على الزيارات فكان الأمر مفاجئ لي ،حملت عصاي التي لطالما حملتني في رِحلي الجبلية وفتحت الباب فلم أجد أحدًا، أخذت أتقدم للامام وانا مستعدة للإنقضاض على الشخص القادم، فإذا بفتاة ترتدي بنطال وقميص أسود تظهر من بين الأشجار وكأنها قادمة من حرب ملحمية كتلك الحروب التي كنت أشاهدها قبل أن آتي هنا إلى هذا المكان، ملابسها كانت ممزقة ،الإرهاق قد تغذى على ملامحها الشابة فبدت أكبر من عمرها، إحدى يداها كانت تنزف وخَلّفَ الدم المتعفن أثر الجرح ،كانت ترفع كلتا يداها للأعلى وتتقدم نحوي مستسلمة ...

بدت لي بائسة فدعوتها لمنزلي المتواضع ،التفتُ فوجدتها نائمة مستندة على الجدار، إنها شابة قد شابت قبل أن تبلغ سن المشيب !

ضمدت يدها وتركتها تغفو في سلام لعلها تخفف ما فيها من ضيق اوشكوريداد...

ريم

كان الأسود يتقدم مني !

بدت لي بعض ملامحه الغائرة في وجهه لكنه معدوم التفاصيل، أرهبني تقدمه ، هويت ارضًا أحاول تحريك جسدي الذي أصبح ثقيلًا كالجبال....

يقترب ،يقترب...

يمد ذراعه نحوي ...

استيقظت مذعورة، كان كابوسًا مخيفًا ، أخذت أستنشق الهواء بقوة وأمسح قطرات العرق التي انسابت على جبهتي إثر ذاك الكابوس اللعين!

أرتَجفُ فهرعتْ إلي لتدثرني، كَتَفتُ ذراعي وقد جفَّ حلقي، فقالت:لا بأس إنه كابوس لاتخافي!

قلت بتلعثم: الاسود...كان يقترب مني.

رَدت: الأسود!!!

علت ملامحها الدهشة وقالت:هل رأيته ؟

قلت:نعم.

أرْدفتْ : لم أنتِ هنا ؟

فكرتُ بأنّ عدم إخبارها عن اوشكوريداد أفضل من أن أفصح لها بسري ،فلا يجوز أن تثق بالغرباء حتى وأن تلبستهّم ملامح الودّ فالمعظم يُظهِر الخير في أول طبعه ...

قلت: لا لا أعلم شيئا ولا كيف أتيت إلى هنا! لكني رأيت ذاك الشيء الاسود في ممر ضيق بين الجبال يقود لكهف مظلم.

أحضرتْ لي الماء في كوب خشبي وقالت:فلنأكل الآن ثم نتحدث بما نريد ...

بدأت التهم الطعام وأشعر بكل قضّمة منه ،وكأني آكل أول مرة في حياتي !

نحن حقًا نجهل النِّعم التي هي تغرقنا ولا نكتشف ذلك إلا عندما تفجعنا خسارتها ،فالعائلة مهما بدت مساوئها نعمة ،والطعام نعمة ،والمنزل نعمة ،والإستقرار نعمة ،والقوة نعمة ،والشجاعة كذلك...

أنهيت آخر لُقيمات واستلقيت أرضًا ،يبدو أني لم أمضغ الطعام جيدًا لشدة جوعي ،ضحكت السيدة مبتسمة فقلت: شكرًا لك على كرمكِ.

ردت:الشكر لله ،اسمي جنّات وانتِ مااسمك يا صغيرتي ؟

قلت:ريم ...اسمي ريم.

ردت:ماذا تفعلين هنا يا ريم ؟

ريم: سيدتي هل لكِ إخباري ماهذا المكان ومن الاسود ثم سأقص عليك قصتي باكملها .

جنّات:موافقة...هذا المكان الغريب يسمى "فرونتيرا " وتعني حدود.

ريم:حدود ماذا؟

جنّات: لا أستطيع وصف مكان محدد لك فالاماكن هنا تتغير باستمرار وليس لها وقت محدد، لكني ما استطعت معرفته أنّ هذا المكان يُلملم الاساطير القديمة التي لا أصل لها ومن ثم تشاهدينها أنت، وتحاولين تغيير الخطأ إلى صواب...يبدوا أن اوشكوريداد ابتلعك ايضًا كما فعل معي!

لكني لم أعد ولم أكن راغبة في العودة لذلك لم ابحث عن طريقة تقودني لمنزلي مجددًا .

ريم:هل قابلت اوشكوريداد؟

نهضت وأخذت تبحث عن شيء ما وقالت:اوشكوريداد ماهو الا داخلنا ، إن كان داخلك أسود فتجدين نصيب ذلك من صفحاته وإن كان نقيًا ستجدين ذلك ايضًا في صفحاته .

ريم ببلاهه: لم افهم؟

جنّات: لم استطع معرفة معنى اوشكوريداد إلى الان لكنني أعلم انه جزء منك ،وهذا المكان يستطيع الشعور بك، حتى الأسود هو يمثل الخوف ويَشْتَم رائحته وعندما تخافين ويفنى صبرك يأتيك بصورة كنت ترهبينها دومًا ، لذلك تجدين الأسود بلا ملامح، لأن كل إتسان يمتلك مخاوف خاصة.

-تنهدت- عندما يحملك الاسود يلقي بك أمام صنديد وهو الشجاع الذي لا يهاب شيئا فيتركك لمواجهة شجاعتك الثائرة .

ريم:ولِمَ ستعذبني شجاعتي؟

جنّات: تعذبك إن تخليت عنها فقط.

بَدأت ريم تَقص قصتها منذ أن كانت في الحديقة حتى وصلت إلى هنا.

لم تندهش جنّات فقد عاشت التجربة ذاتها لكن بطريقة مختلفة بعض الشيء .انتهى الحوار بسؤال ريم: كيف أعود؟

جنّات:لا سبيل للعودة!.

شعرت ريم بالرعب من عبارتها تلك ، أخذت تنظر لجنّات بنظرات مُتفحصة وهي تدرك أنها ماكان عليها البوح بسرها فكما يبدوا هذا المرأه لاترغب بمساعدتها ابدًا!

قالت جنّات: سأذهب لجمع بعض الأعشاب من الجبل، انتظري هنا بقدر ما تشائين فقد يطول غيابي ...

ريم: لا بأس، رافقتك السلامة.

تصنعت ضحكة صفراء مجاملة وغادرت المكان .

ريم

لم اعتقد أنها ستغفل هذا ، لماذا تدفعني للشعور بالإحباط؟

ولماذا تساعدني ومن ثم تثيني عما أرغب به؟

غريب حالها ، وكأني في استضافة إحدى مرضى الإنفصام ...

تنهدتُ وقلت لنفسي:ليس عليك الحديث بهذه الطريقة عمن قدم إليك معروفًا وأطعمك وأوآكِ...

على كل حال سآخذ جولة حول الكوخ لعلي أفكر بطريقة مثلى في الهواء الطلق، أخذت التف وأنا أنظر للمكان ممحصة إياه، ففي مثل هذا الوقت أحتاج لكامل تركيزي وقدرتي على الإستذكار.

قالت لي: هنا تجتمع الأساطير ، ترى ماذا كانت تقصد؟

كان هناك وهج أحمر طفيف يتراقص على مقربة مني فتقدمت نحوه كنت أعلم أنّ اوشكوريداد ينتظرني هناك.

لكن خابت توقعاتي ولم أجد كتابي بل كانت ورقة منه مثبتة في جذع الشجرة ،كُتب عليها:

"لا تأمن الغرباء

فتغرق في ظلامهم

أما يكفيك الظلام الملتف حولك!

ذهبت الفتاة الغارقة في ظلمتها لداخل الكوخ لتختبئ من أقزام القرية، عَلِقت فأخذت تبحث عما تدافع به عن نفسها ومن غير قصد حركت الصندوق فعثرت على ضالتها ...

الأقزام خلفك ...

غادري!!"

بت أثق في كلماته، فقد غادرت في كل مرة يخبرني فيها ذلك، رفعت الدبوس الذي يُعلّق الورقة ،وثبتها في جيب بنطالي بعشوائية وهرعت للمنزل، أردت إغلاق الباب فوجدت سهم يتقدم نحوي، سقطت أرضًا وعاودت النهوض واستجماع نفسي بسرعة أغلقت الباب ولكنه سيسقط!

أردت التقدم من الصندوق ولكن إن ابتعدت عن الباب سيُفتح، كنت أستند عليه مغلقة أياه بكل ما أمتلكه من طاقة، حتى سمعت صوتًا لم يكن غريبًا علي، إنه ذات الصوت المخيف!

سلبني شرودي فظللت مستندة على الباب بكل ما فيّ دون أن الْحَظ أنّ الجانب الأخر لم يعد يَردّ القوة بمثلها، فسقط الباب وهويت فوقه، كان سيذهب إلا أنّ سقوطي جعله ينظر إلي ويلتفت قائلًا: لستِ وحدكِ هنا!

تقدم نحو الغاب فشعرت بشجاعة كبرى لم أدرك مصدرها وتبعته قائلة:أنت صنديد أليس كذلك؟

لم يتوقف فاردفت:لماذا تساعدني؟

صنديد:طالما أنت متمسكة بشجاعتك ستجديني حولك دائمًا.

توقفت وعلَت الدهشة ملامحي ، أحقيقي ما يحدث ؟!

كان قد أختفى بجسده الضخم بين الأشجار المتشابكة أما أنا فعدت أفكر فيما يحدث ،فوجدت جنّات قد عادت ،كانت تبحث عن شيء ضائع، فتنحنحت بصوت مسموع وقلت:أنا هنا!

وضعت يدها على قلبها وقالت:حمدًا للّه ظننتكِ قد مِت!

ريم: أعتذر فقد سقط الباب و...

قاطعتني:لا عليكِ سأصلحه.

بدأت برفعه وكنت أساعدها في تثبيت الباب مجددًا ،فسألتها وهي تُحكم ربط الباب: كيف علمتِ أنني في خطر؟

جنّات وهي تمسح جبينها: أخبرتك أنّ هذا المكان يتغير ،كنت أعلم أنه سيتغير اليوم ولكن حدث ذلك سريعًا، فمع كل اكتمال قمر تظهر أسطورة قديمة .

ريم:وما كانت الأسطورة التي ظهرت قبل لحظات؟

جنّات: قبيلة الأقزام... إنهم قصيرو القامة طولهم لا يتجاوز مترًا رؤوسهم كبيرة إلى حد ما وأذانهم كبيرة وشعورهم متعددة الألوان، وأنوفهم مدببة ،يرتدون جلد الحيوانات في العادة، ولم أفكر يومًا بالإقتراب منهم .

ريم بضحكة: كالقصة الخيالية تمامًا؟

التفتت لها جنّات بضحكة خفيفةوقالت:شيء من هذا القبيل .

كانت المرة الأولى التي تبتسم فيها ، بدت لي ابتسامتها ساحرة وكشفت لي عن جمالها المدفون خلف تجاعيد الحزن.

دخلنا للداخل وبدأنا بتحضير الطعام وكلما وَددّت سؤالها عما حدث تتجاهلني وتُدخلني في صُلبِ موضوع آخر ،رأيت ذاك الصندوق الذي حدثني عنه اوشكوريداد فكرت أن أحركه اقتربت منه حتى أوقفني صراخ جنات:توقفِ ! لاتفعلي ذلك لا تفعلي!

التفت إليها وكأن ملامحها تبدلت للسواد فقلت: ما بالك؟!

ردت:لا تقتربِ من ذاك الصندوق فحسب.

وعادت لتكمل ما بيدها، وضعت الطعام وبدأنا بأكله معًا ،حتى قالت: سأذهب لإستكشاف المكان فقد تكون ليلتنا خطيرة جدًا، إذا خرجتي من هذا الكوخ فلن أسمح لك بالعودة إليه مجددًا.

غادرت وقد اشعلت فتيل حماسي، ماهذه المرأة؟ !
لا هي محبة ولاهي مبغضة!
لم أفكر كثيرًا في تحريك الصندوق، فقد فعلت ذلك فور خروجها فإذ بي أعثر على صندوق آخر في حفرة عميقة، كان لونه أصفر ذهبي برّاق ووَهَجه التفّ حولي في أقل من ثانية، تأملت وهجه إنه كذات الوهج الذي يطلقه اوشكوريداد، قفزت في الحفرة فإذا بي أستقر على ذاك الصندوق ،وقد بدت لي الطريق وكأنها لُفافة تبغ عتيقة!
كان ممرًا يقود حيث لا أعرف أنا، وكنت أتوق للعثور على إجابات لأسئلتي الضالة، فتحته فوجدت كتابًا ككتابي يشابهه ولكنه مختلف ... ذهبي لونه، واوراقه بيضاء عنوانه " la luz" حملت الكتاب واحتضنته بكلتا ذراعي، فكرت في فتحه لكني بت أخشى ظلمة الاماكن المرهبة، رأيت في الصندوق لفافة آخرى أخذتها ، وتأكدت من خلوه ، ثم ركضت بكل ما في ّ في ظلمة ذاك الممر.

أهربتُ من جنّات لأني عثرت على كتاب!

كانت هذه الفكرة ترتع وتعصف في ذهن ريم أحقًا صدّقت كتابًا انتشلها من دفئ عائلتها، ثم ضحكت فلم تكن تشعر بدفئهم يومًا لعل قول برود عائلتها أدق تعبيرًا ...
من نصدق إن لم نصدق الكتب؟
منذا الذي سيتقبل فقر نفوسنا إلاّها؟
لا أحد يرغب بك عندما تتعثر...

وأنت صاحبهم في النّجاح !

هكذا هي طبيعة البشر

لا تستطيع ممارسة حقك في البوح برفقتهم

فكلهم نفور وكلهم صخب وكلهم رفض.

فإن أحببت وأخبرتهم فأنت مذنب

وإن أخطأت فذنبك ليس بمغتفر!

لذلك نفر من البشر!

ونسمح للكتب بأن تبتلعنا

فهي تفصح عن الشعور دون قيد

وأن أخبرتها

فسرك في بئر الإسرار سيؤتمن...

وكأنك لم تَقله .

بدأ النور يصطف في نهاية الطريق المعتم فعلمتْ أنها وصلت وجهتها، كانت قد وصلت أخيرًا وهي تجاهد نفسها لدفع الاكسجين لِرئتيها، نظرت فإذا به ذات المكان الذي قد ضاعت منه ، مُلتقى الرمال بالماء ، ريم بدهشة: ماهذا؟ وكأني في حلقة مفرغة لا مخرج منها، أم أنّ الأحداث باتت تعود بي!

إن كان كذلك فستكون وجهتي القادمة هي المنزل!

أخذت تمضي بفرح ، فقد عثرت على فكرة حتى لو بدت غير منطقية لكنها الفكرة الوحيدة التي تمتلكها.

كانت تبحث عن السفينة التي قابلت بها اوشكوريداد لكنها لم تعثر عليها ، فجلست لتستعيد توازنها وأخذت
"la luz" وفتحته ...

"في أول صفحة مني
أنا لك النور وأنتِ لي الظلمة
في أول وهج ذهبي منير يخترق قلبك الأسود
كسَهْم مشتعل
لن يستطيع إنارتك إلا
أذا انتِ سمحت!
أنا "النور " أبسط نفسي على متسع الأفق
أنا الصنديد
أنا الطيِّبة
أنا المَغفرة لتلك الخطيئة ...
أنا الجانب المشرق الذي ينبثق من قعر الدّيجور(الظلام)
اهلًا بك لتعيدي سرد أسطورة العصور "
ريم
لا أكاد أخرج من مصيبة حتى أستقر في أخرى أكبر وأعظم ...
أين أنا؟ !
تكاد غربة هذا المكان تغتالني وكأنها تنتظر مني أن أرخي دفاعي فتهاجم هي .

تنهدتْ وقالت وهي تضع كتابها الذهبي بجوارها:

أرشدني يالله لمكان أجد فيه ضالتي، أعلم أنك قريب وأنت وحدك من تسمعني وتستطيع أن تنقذني...

يارب قد ضاق هذا الأفق الواسع علي، ورحمتك وسعت كل شيء فارحمني ...

-بكت فقد بدت ضعيفة وحيدة ومنهارة

أعلم أني قد أذنبت وقد عصيت مرارًا وتكرارًا لكن من لي دونك يالله!

لا أحد ...

أخذت تنحب بصوت مرتفع، أنها رُفات، أنقاض متدثرة في غطاء من جلد يحتويها، إنها ضياع، والعديد من الإنكسارات المتراكمة .

فُتِح" " la luz(لا لاز) على صفحة بشكل عشوائي كما كان يفعل اوشكوريداد ، كتب فيها:

"قلوبنا بيضاء

فيها نُدبة

سوداء

تلك النُّدبة هي التي تعيقنا وتؤلمنا وتطرحنا أرضًا ،تلك الثغره هي منفذ يسمح بتسرب اليأس ليستقر في صدورنا ...

هنا يأتي صنديد ليدافع ،وتأتي النّسمة لتواسي، ويغرق الأسود في سواده، الغلبة لنا مادمنا نتسلح بالإيمان"

بدأت أرى شخصًا يخطوا على الشاطئ ، لاح طيفه من بعيد فنسيت كتابي وتقدمت من ذاك الشخص وكأنه طوق نجاة قذفته لي الرّيح في منتصف العاصفة.

كان رجلًا ليس بمسن ولكنّه كبير، ليس بقصير ولا طويل ،ولا سمين ولا نحيف، يرتدي قطع ثياب بالية ،أَعْجَفُ الجسد، وقد تكور الحزن في عينيه متمردًا، حالَ ما رأيته مرّ المتنبي بأبياته في خاطري عندما قال:

لَقَد رَأَيتُ الحادِثاتِ فَلا أَرى
يَقَفاً يُميتُ وَلا سَواداً يَعصِمُ
وَالهَمُّ يَختَرِمُ الجَسيمَ نَحافَةً
وَيُشيبُ ناصِيَةَ الصَبِيِّ وَيُهرِمُ

لقد بدى الهَمُّ أنيس ملامحه، وكأنه غراب أسود يقف على غصن مكسور!

اقتربت فقلت:ياعم ،هل لي بسؤال؟

فرد: من هناك؟

قلت:اسمي ريم

أدركت أنه كفيفُ البصر فاردفت: تِهتُ هنا ولا أعلم مكان أذهب إليه، لا أعلم أيضًا كيف جئت إلى هنا وكيف أعود!!

كنت أحافظ على مسافة أمان تسمح لي بالهروب إذا ما أراد الإنقضاض علي، كنت أظنه من أكلة لحوم البشر!

قال:لاتخافي يا بنيتي فإن غَيّبتك الديارُ فديارنا تفتح ذراعيها لك...إتبعيني إن شئت فأنا أسكن في كهف قريب، لعلي أستطيع مساعدتك.

شكرته وسرت خلفه ، لم يبدُ لي أنه كفيف فقلت: اعذرني ياعم هل تُبصر؟

ليردّ: فقدت بصري منذ أن ضاعت بي السنين فأضاعتني العقارب بين القوارب.

بعفوية قلت: لم أفهم!

ليرد: ستقولين مجنون كما قال أصحاب القرية، ولكن لايهمني، فقدت بصري حزنًا ،فقد تركت عائلتي خلفي لكي أُقيم دراسة في واحدة من الأساطير الإفريقية القديمة هنا حيث المكان الوحيد الذي تلتقي فيه أمواج البحر بالكثبان الرّملية، صحراء ناميب أو كما يسميها آخرون بوابة الجحيم التي حولت حياتي لجحيم الحسرة والألم.

ريم:لماذا ياعم؟

أتى صوته المثقل مجيبًا:

كنت عالم تاريخ يسعى للشهرة فتركت عائلتي خلفي وتقدمت لأنهض بعملي ، وصلتني رسالة ذات يوم من زوجتي كانت قد أرسلتها مع صديق لي يأتي ليزورني بين الحين والآخر لبضعة أيام ثم يعود لإسبانيا حيث نقطن، عندما فتحت الرسالة كان صديقي قد غادر، وكانت الكلمات التي تحملها كالجبال المثقلة التي تدوس قلبي تحت ثقلها ،لازلت أذكرها وكأنها ألآن بين يدي...

قالت: تعال يا إحسان فابنك ينتظر أن يرى إحسانك، أن يتحسس أبوتك التي فقدها، تعال فهو يعاني وأنا والله ماعدت أستطيع المقاومة ولا التحمل -تنهد -كان ولدي مصابًا بالسرطان ولم أكن أعلم، تكتمت زوجتي على الأمر لكي أكمل السير نحو هدفي كانت تخشى علي أن أفشل فأبكي طموحي ،وكأنها ما علمت إني سأرثيها وابنها ببصري لابكلماتي ودموعي!

ريم:ماذا حدث لابنك ياعمي؟

إحسان:توفي ولدي وهو يقاوم لعلّه يراني، أما زوجتي فما استطاعت أن تتحمل الهم ، مرضت ثم لحقت بابنها ، تركتهما خلفي كثيرًا فغادرا الدنيا معًا وتركاني!

ريم

تأثرت، حزنت لحزنه حتى أني نسيت ما حلّ بي، وكأننا عندما نستشعر مصائب غيرنا تهون مصائبنا ،أردت مواساته فقد بدى لي جسد تكاد الدنيا أن تلقي بما تبقى من عظامه ولحمه في تلك الأمواج، قلت:

أنت تعلم أن الله لا يُقدر لنا إلا الخير ،وأننا نُبتلى لنعود إليه تائبين ،فنعود بضعفنا فيمدنا بالقوة ...الله رحيم بنا دومًا ياعم وأنت تعلم هذا...

رد :كم عمرك؟

قلت:أنا في الثامنة عشر .

قال:وكيف أتيت إلى هنا؟

أخبرته بقصتي كاملة دون أدنى نقص، دُهش كثيرا، فقصتي تكاد لاتصدق بقدر قصته التي يحملها في جعبته على الأقل !

رد:سأخبرك بقصة هذا المكان، أنظري أترين تلك الأمواج -وأشار لجهة البحر-وتلك الكثبان الرملية-أشار للصحراء □ إنهما يلتقيان معًا فيشكلان خطرًا على السفن فالبحارة عندما يجتازون رهاب المحيط واختلاجاته ويمرون بعواصفه يظنّون أنّهم اجتازوا الصعب حتى تسقط سفينتهم جثة هامدة على هذا الشاطئ، فالكثبان الرملية تصل الى ارتفاع 400م والجو كما ترين ضباب دومًا ،وهذا هو العائق .

ريم:لذلك سمّي ببوابة الجحيم؟!

احسان:نعم ،هناك أيضًا تسميات أخرى كشاطئ الأموات، فالاساطير تحكي أنّ الأفارقة القدماء دافعوا عن أرضهم ورفضوا أن يحتلها أحد وأصبح لون المحيط بلون الدماء فسمّوه بهذا تخليدًا لشهامة أبطالهم وشجاعتهم، وهناك من يقول أن هذه التسمية منطلقة من هياكل السفن المحطمة ولكثرتها ولشدة خطورة الإبحار هنا سمّي كذلك ،جمالية هذا المكان تنهار أمام مسمّياته...

ريم:أتعلم أين نحن تحديدًا؟

احسان:نعم! إننا في صحراء ناميب

ريم ببلاهة:صحراء ناميب! !

احسان: إنها مسمّى بلغة النّاما إحدى اللغات الإفريقية القديمة وتعني المكان الواسع.

ريم:وماعلاقتي بهذا المكان؟

احسان بتفكير: قلتِ أن اسم كتابك اوشكوريداد؟ !
ريم:أجل هو كذلك وأمتلك كتابًا آخر يسمى "لا لاز" كما اذكر !
سكت برهة ثم قال:لعلها مسمّيات إسبانية ،فاوشكوريداد تعني الظلام ولا لاز تعني النّور...
ريم :وماعلاقةُ كل هذا بي؟
احسان: حقًا لا أعلم ولكن دعينا نفكر في هذا الأمر، الآن سيهبط الليل وعلينا الخلود للكهف فالكثبان والبرد قد يقضيان علينا.
تبعته فلم يكن لي مكان أذهب إليه، كنت أريد الحصول على مزيد من الإجابات، أخبرني أنه من إسبانيا وأن المصطلحات إسبانية كذلك ،يال التصادف!
تذكرت أني نسيت لا لاز وحيدًا، استعجالي سيهلكني يومًا ما ...!
نظرت للعم فوجدته نائم وهو يتكئ على الجدار فحملت خشب واشعلته من الموقد وعزمت على البحث عن لا لاز فهذه الكتب تضيع كما لو كانت فتاة صغيرة تشتهي أن تبتعد عن والديها!
الظلمة كانت مخيفة، كنت أحب الليل سابقًا ولكني الان أكره الظلام، أخذت أخطوا على الشاطئ قدماي في الماء وقشعريرة تسري في جسدي ،كان هناك وهج أصفر يلمع من بعيد، علمت أني عثرت على فقيدي فجريت له، وما أن وصلت أردت أن أنحني لألتقطه فأذا بي ألحظ وهج أحمر يتدفق من سفينة تستقر أمام لا لاز، لا أذكر وجودها ابدًا!

كنت قد بحثت في كثير من السفن ولكن هذه السفينة لابد أنها استقرت حديثًا ...

كنت أمدُّ يدي نحو لا لاز فأذا به يُفتح قبل أن التقطه، صفحة جديدة..."

خائفة ولكني لا أرتجف

متمسّكة بكل نسيج من أمل

أنتظر الشمس بدفئها...

ولكن إن لم نصنع عودتنا

وإن لم نتغير

فسنكون أموات الرّوح

أحياء البدن

سنعيش بلا شمس

ولا نور

ولا حتى هالةُ قمر

نندم ...ونعتذر

ولكن الإعتذار بعد الخسارات لايغير من الواقع شيئا

هو فقط يخفف عنا مافينا

يخفف ألم قلوبنا

ويداويها

الأعتذار ليس إلا كلمة

إن لم تتأثر التصرفات به

أو نتغير نحن"

في مكان آخر تجلس على السرير الوردي، تبكي وترثي محبوبتها الغائبة، تتحسر على ضياع اللحظات، وتندب اجتياح الدقائق لسويعات اليوم القليلة التي لم تمكنها من الجلوس مع ابنتها ،تشكو الحواجز التي بنتها ،وتشتم القوانين التي قيّدت بها جوهرتها، ضاعت غاليتها ولم يستطع أن يعيدها أحد ...

فكرت كثيرًا ،وبحثت طويلًا، وكل ذلك عبث في عبث.

أخبرها أحدهم أن تدعوا الله أن يردّ لها ابنتها، وأن الله يسمع الدعاء ...عزمت على العودة ...

وعادت إلى الله متعبة متناثرة، عادت لتسلم له جروح غارت في قلبها ولتبتهل إليه بروحها المتهالكة، فليس لها من دون الله أحد.

حتى زوجها غادرهم وتركها وحيدة، بعد أن شتمها ،كان يعطيها المال دومًا ولكنه لم يعطيها الحب يومًا، كان يقربها من الفواحش ويحببها في الثياب ولم يذّكرها قط بالعذاب، فهل كان عذابها هو الحرمان من ابنتها ...

لحظة!

هناك شيء يتحرك، صوت صفحات تُفتح ،نهضت وتوجهت نحو الدُرج الذي تركته فيه حيث اعتادت ابنتها أن تخفيه هناك من قبل، كان اوشكوريداد بالفعل !

كانت صفحاته تتضارب، وكأنه غاضب!

ياقوت

خفت أن أمسك به، كانت صفحاته تتعارك بقوة، وصوته يشبه فحيح الأفعى ، الوهج الأحمر لم يكن متطايرًا هذه المرة وإنما أنهمر ليغرق الارض وكأن هذا الكتاب ينزف ،ماذا يحدث؟

توقف التضارب واستقر مفتوحًا على صفحة فارغة، سوداء قاتمة ...

قلت:ماذا يحدث لك؟

لتبدأ النقوش الحمراء بالظهور وكأن هناك شخص يحفر في الطرف الاخر ...

"مابال الفقد لم يعد يروق لك؟

ولماذا الان تتبنّين فكرًا غريبًا؟

ألا تخافين التغير؟

فلماذا تتغيرين؟

قلبك وكأنه يتحرك

إنه يضخ دماء غريبة

الظلام ينحسر

أتالم فقد عشت فيه طويلًا

أنا أحتضر!"

أرعبتني الكلمات، لعلها ريم تتألم، هل أصابها مكروه؟

يا اللّٰه!

انقذها يااللّٰه أعد لي صغيرتي يارب ...

قُطعت كل وسائل المساعدة وظلَّ طريقك يااللّٰه، إنه لا يغلق .

أخذت نَفسها وذهبت لتتوضئ وتدعوا، تتذكر ذلك ،فقبل زواجها كانت محافظة على صلاتها، لاتقطعها، ولكن زوجها دمر كل شيء، أفسد عقيدتها ظنًا منه أنه هكذا يرشدها لطريق المتعة بعيدًا عن التعقيد المفروض عليها، كانت تتوضئ وهي تبكي، لا تعلم إن كانت تلك الدموع دموع خوف أم مرارة وجع، أم شوق لقاء بعد طول غياب ...

"اللّه أكبر"

انقطعت بها عن الدنيا لغير دُنيا ، ذابت في عذوبة الأيات، لم تكن حافظة للكثير فقد غابت عن النّور الحقيقي، كانت غارقة في الظلمة، وهاهي ترسوا على شاطئ الأمان من جديد، تحطُ عليه فتدوس رماله بحنو، ليتسلل دفئ الرمال لقلبها المُثلج.

ريم على الطرف الأخر...

لحظة أسمع صوتها، أعرفها جيدًا وكيف لي أن لا أعرفها !

أنه صوت أمي، أخذت التفت حولي وأصيح:

أمي أمي أنا هنا ...أين أنتِ؟ !

أجري يمنة ويسرة، ادور حول نفسي وكأن شوقي لها أفقدني صوابي، كنت أفتش عنها لحاجتي لها، لدفئها، لضمها .

جلست أرضًا منهارة القوى، غارت قواي في الأرض وكأنها قطرة مطر، أخذت أبكي بصوت عالي ،والأمواج الضوئية تتداخل من فوقي، الذهبي والأحمر في تمازج مهيب وظلمة الليل تحيط بهما وبي!

تذكرت أول يوم في المدرسة عندما تركتني أمي وحيدة بين الأطفال، كنتُ خائفة من أن أظل وحدي وتغيب أمي ولا تعود!

حالي كحال تلك الأيام ،فأين أنتِ يا أمي خذيني إليك كما فعلت في ذلك اليوم !

خذيني إليك كما تفعلين دومًا!

احتضنيني ،فأنا بحاجة لذلك، لوجودك لرائحتك ...

نحن بحاجة إلى أم في كل الأحوال، نحن نحتاج لها أي أمٍ كانت هي، حتى بغضبها وصراخها، في توبيخها وقلقها الدائم، نحن لانستطيع الحياة دونها ، ونفقد الحياة بفقدها.

الأمهات كنوز ثمينة قد لانقدر عطائهن إلا عندما يغيبن، دعواتهن تُغلّفنا ،ترافقنا الدرب الطويل تخفف عنا غربتنا .

فلو كانت الكنوز بشرًا لكانت الأم أثمنها، ويال وحشة الأيام وعتمتها عندما تغيب.

كالشمس هي

مضيئة...

دافئة...

لكن غيابها مختلف!
إن ذهبت أمي ،فلن تشرق
لأنها لن تعود.

بعد برهة استجمعت طاقتها وقالت بصوتها الباكِ :أمي!

ياقوت...
كنت قد أنهيت صلاتي ،تواسينا الآيات دومًا بأن اليُسر قادم مهما أعسرت بنا الحياة ، تخفف عنا نكساتنا وتهون لدغة النكبات، نذهب مبعثرين وقد غطانا الرّماد ، فنصبح باحتوائها أقوياء ...
سمعت ندائها كانت تنادي علي، إنها ريم ،نهضت وقلت: ريم أين أنتِ يا صغيرتي ؟
ريم: أمي ،هذه أنتِ؟
ياقوت بفرح: هل أنت بخير؟ أين أنت؟
ريم ببكاء: لازلت لا أعلم، أمي أنا خائفة ، لقد كان صعبًا يا أمي!
ياقوت تُكَفكف دموعها: أنتِ قوية يا ريم وُلدتي بقوتك يا صغيرتي فحافظِ عليها ، لاعليكِ سينطوي هذا البعد لكن أخبريني أين أنتِ؟
ريم: لا أعلم ...حقا لا أعلم !إنه الكتاب الكتاب يا أمي!
ياقوت: ما باله؟
ازداد الوهج الأحمر والتف وكأنه يبتلع اللمعان، يبدوا أن الغلبة له الان
.
ريم:أوشكوريداد وقَعّت صفقة معه وابتلعني ...أمي؟

هل تسمعين؟

أدركتْ بعد تكرار النداء أن الإتصال قد قُطع ،عادت لوحدتها .

كثيرًا ما نصيح في وجه البُعد: ليتك تنقضي، ليت المسافات الفاصلة تنطوي فنرجع لمن يَعِّز علينا فراقهم، ويضنينا غيابهم ويفجعنا فَقد صوتهم، وكأنهم لنا الماء الذي يروي ظمأ عروقنا الجافة، إنها المسافة، إن مسّتنا فهي آفة ...

إنه الفقد إن حل فسيدوم عَقدا من الزمن.

استجمعت قوتها ووقفت ترقب الضوء الأحمر وتصيح: لطالما كنتَ تخفف عني، فلماذا اليوم ترميني بسهامك وتسدد نحوي لتقتلني ،هل لك أن تخبرني؟

هدء صخب الأضواء ،وبدأ يلتف حولها، مدت ذراعيها وأكملت: كنتَ جزء مني وجدت نفسي بقربك! بين حروفك واسطرك فهل أنت كتاب تخون؟

لماذا تؤذيني؟

بدأ الذهبي يتسلل من أسفل قدميها أما الأحمر فيحيط بها، ريم: لاول مرة أرى كُتب تتصارع، فهل حقًا تتقاتل الكتب فيما بينها أيهم سيستقر بين أيدينا؟

قَطع صوت العجوز القائل الوهج :ريم ماذا حدث لماذا غادرتِ ؟

أنزلت ذراعيها وابتسمت له بدفئ وقالت:هنا ياعم.

هدء الصخب بعد أن كادت تحسم أمر الجدال، نظرت يمناها فلم تجد لا لاز والسفينة التي كان يختبئ اوشكوريداد فيها أبحرت مجددًا ، تنهدت ...

إحسان ...

صحوت وأنا اسمع صراخها ،هناك شيء يحدث ناديت:ريم ريم أين أنت يا ابنتي؟ !

لم تجب فغادرت باحثًا عنها ، أتَخِذُ مسرب الصوت وجهتي، تقدمت نحوها ،بدت وكأن هناك أحد تحادثه ، تصرخ تارة وتبكي تارة، فأي ألم تحتضنه بين ضلوعها هذه الفتاة المسكينة!

حقًا قد نكبر قبل أن يمرّ عمرنا، هي الظروف الصعبة تحطمنا ثم تعيد هيكلتنا ، هي الهموم تبعثرنا ثم تنثرنا فُتاتًا غائرًا في الأفق الواسع.

سمعتها تقول: أنا هنا ياعم!

لا أعلم لماذا شعرت بأنها نفحة رطبة تواسي قلبي الذي أضناه الحزن وأفجعته وحشية الفَقد.

شاردة تمامًا كانت!

وكأن في عقلها الآف الزوابع تعصف في دماغها فتضرب جدرانه وتُربك تركيزه، حِرت في الطريقة التي قد تجعلها تبتسم، فقلت اخيرًا :

عزيزتي!

الهموم كلها تغادرنا حين نستطيع أن نتغلب عليها، الخوف ينهزم أمام إلحاح محاولاتنا، الضياع يهجرنا إذا لم تتيحِ له فرصة بأن يغزوك، كل ما يواجهنا من شعور بسبب مؤثر ما يُنشأ في داخلنا حربًا فإن جعلنا الغلبة له فسَنستسلم للإكتئاب وفقدان التركيز والشتات واليأس حتى أنه قد يصل بنا للإنتحار !

لكن هل برأيك إنهاء حياتنا في المطبات الصعبة هو الحل؟

ريم :لا يا عم

إحسان: أجل، فلا تبتئسِ، فكري في الحلول دائما لا بعَظَمَة المشكلة.

ريم وهي تمسح دمعة قد فرت من عينيها: حسنا.

جلست على عتبة الكهف، تعصف الكثبان الرّملية من أمامها وكأنها ترمق ساحة يتصارع فيها الأقوياء فيطرح أقواها أضعفها فتلامس ذرات الرّمال وجهها ، تُعلّق عينيها بالأفق الواسع والفكر يَغرق في مِداد البحر.

أين اوشكوريداد؟

هل فقدت لا لاز ايضًا؟

كيف استطع الإتصال بأمي؟

قلت وقد لاح شيء من الحماس في عيني: يا عم ، ماذا يوجد نهاية هذا الكهف ؟

إحسان: لم أصل لنهايته يومًا، كان هذا الكهف سؤال لا أمتلك إجابة له، فلم يكن له وجود من قبل، لقد وجَدتُه بعد الأحداث التي أخبرتكِ عنها.

ريم: أتمتلكُ شعلة يا عم؟

إحسان: نعم ولكن ماذا ستفعلين؟

ريم: يبدوا أني على موعد مع مغامرة جديدة ...

إحسان: لكن كيف لك أن تتأكدي أنّ هذا المكان الذي لا نهاية له هو الطريق؟

ريم: طوال رحلتي أسقط في الكهوف تبعًا وأخرج منها، كما أنه لايمكن أن يظهر كهف كهذا فجأة ، أليس كذلك؟

إحسان: بلا ولكن!

ريم مقاطعة: أنا النهاية لهذا الطريق.

إحسان: أخشى أن يصيبك مكروه ما؟

ريم: لقد واجهت ماهو أصعب يا عم ، أم تراك قد تجد شيئًا معي أستطيع أن أفقده؟

إحسان: روحك أثمن الجواهر، صحتك ، فكرك، أنت لا تدركين كم أنت غالية!

ريم بضحكة: أعلم ياعم، واشكرك مجددًا، إن خيبتني ظنوني سأعود مجددًا !

إحسان بإبتسامة باهته: أهلًا بك متى حللتي.

أخذت تسير في طريق الكهف المعتمة وقد عاد الحماس يرتع ويلعب في داخلها، لم تكن تفكر بالوحدة فقد كانت تحاكي نفسها :

يا اللّه ، أعنّي، امنحني القوة. لست خائفة هذه المرة، أشعر بأن هناك شيء قد تغير في داخلي، ربما هي الهموم التي حطمتني ربما !

لست نادمة ، حتى تجاربي الصعبة علمتني أن أكون قوية بما فيه الكفاية ، قوية للوقوف والمواجهة.

بدأ نور يلوح في نهاية الكهف المعتم ، بعيدٌ هو لكنه ظاهر لها، هرولت نحوه وبدأت تصرخ:

لا لاز توقف!

تخدَّر جسدها وتوقفت هي، عندما سمعته يقول:

" في صدورنا ظلمة دامسة،ونقاط منيرة، نُولد ببعضها ونكتسب المعظم، لكنك المُخّير !

الظلام يصرع النور بأرتكاب أول خطيئة، يلتهم صاحبه بعد تكرار زلات قليلة، لكن الصادق يعود والأخر لا يفعل...

أمٌ تحث أبنتها على الفجور وإيقاع المكاره عادت لطريقها ولصلاتها عندما خسرت ابنتها.

فينا صلاح دفين، وفي أخرين خُبث، فامضِ بصلاحك وكن أنت النّور الذي يتغلب على ظلامهم."

ريم بابتسامة تقدمت نحو الإضاءة المنبثقة، خطواتها رزينة تقدمها مِقدام، بدأ الوهج الأصفر بالإنسياب نحوها، بالدوران حولها ، باحتضانها، ولازالت تتقدم، في عينيها لمعة قوة وأخرى من الحزن

تشكلت لكنّ شجاعتها قد راوغت حزنها وألقته جانبًا هذه المرة ، وصلت بعد طول هرولة.

كان الكهف فيه كهف آخر ، تقدمت بحذر فبدأت زنزانات السجناء تظهر جيدًا ،أصوات الأنين والصراخ والبكاء عالية، مثيرة للشفقة ومرعبة في ذات الوقت ،رائحة الدماء والجلد ،كأن الموت يتربع في وسط هذه الظلمة!

رأت شابًا يقف ممسك بالقضبان يرجوها أن تحرره.

نظرت ريم لملامحه المتعبة، ثم للقضبان وقالت وهي تبتلع ريقها : لايوجد هناك باب ، فكيف دخلت؟

ردّ: ذاك الذي يسمى صنديد حبسني هنا، أرجوك حرريني!

ريم بتفكير:كل ما وجهته كان مجرد أفكار أحملها وكنتُ عندما أجيب عليها أجد طريقة أخرى للنّجاة.

الشاب: لم أفهم؟

ريم: هل أنت نادم؟ومما أنت خائف؟

تنهد وكأنني فتحت له المواجع وألقيتها على كاهله دفعة واحدة، شابت ملامحه، غارت عيناه ولوح فيهما الحزن الدفين بسَنا الدموع ، قال: تركتها وحيدة ، كانت أمي تريد مني التوقف عن التدخين ولم أستطع، بل لم أحاول حتى لإستطع لم أتقبل تلك الفكرة التي تفصلني عنه شعرت بأنه جزء مني، وعندما أخبرني الطبيب أن التدخين منذ اللحظة هذه سيسبب موتي فأنا مريض بقلبي وقلبي قد أصابه السقم، أنه مريض دون المرض فما بالك بوجوده؟

ريم: ماذا فعلت بعد ذلك؟

ردّ: تركتها وحيدة، وصرخت في وجهها أني لن أعود، أخبرتها هاكِ قد فقدتي ابنك بسبب اصرارك عليه ، كانت تؤلمني في كلماتها وتدفع العلقم لداخلي ...

ريم: أعلم جيدًا أنّ الإكراه طريقة سيئة بل سيئة جدًا ، وأن الاباء قد يتبعون طرق خاطئة ظنًا منهم أنهم بذلك يستطيعون اقناعنا، وما تزيدنا هذه الطرائق إلا نفورًا ولكنك مخطئ، فهي ماكانت لتفعل ذلك إلا لإنها تخاف أن تفقدك!

هناك سبب دومًا يبرر أخطائهم، فهم يريدون مصلحتنا بشكل دائم وفق نظرتهم لنا.

ردّ بتنهد: هل سأموت هنا وهي حزينة؟

ريم: ستسامحك فالأم بطبيعتها لايهون عليها ولدها مهما كان، لكن فكر بنفسك، هل حقًا كنت تستلذ بالدخان؟

انظر لاتفهمني بشكل خاطئ دومًا كانت عائلتي منفتحة وغير مبالية .

أجاب: كنت أحرق شيء ما في داخلي برفقته، فإذا ما غضبت أحرقتها واذا اغترفت من الحزن شيئًا فعلت الشيئ ذاته .

ريم: لست طبيبة لأقوم بذكر المساوئ الصحية واثرها عليك وعلى صحتك ، وفي الواقع جميعنا نعلم حقائق لا نستطيع تجاهلها عن كثير من الموضوعات لاينبغي أن نتجاهلها ولكننا نفعل ذلك!

لكني سأخبرك بأمر ليس فقط عن الدخان بل في كل جانب من جوانب الحياة، نحن نبحث عن أمور لنُعّلق ذاتنا فيها والسبب فراغ داخلي يجتاح نفوسنا، نحن مليؤون بالفراغ، حتى في سويعات وقتنا تتقاتل الدقائق ساقطة كأوراق الخريف دون أن نبالي لها، فتسقط ساعة واثنتان ونحن لا نفعل شيئا، إنه الفراغ فقط أنت فارغ من الداخل .

كان يفكر بما أقول وهو ينظر للأرض، كان شابًا أَهْيَفُ الجسد ذائع العينيين ممشوق القوام- قلت : ما اسمك؟

ردّ: عُمير

ريم : هل أنت خائف يا عُمير؟

عُمير: نعم، خائف خائف لدرجة أني أريد الصراخ والنحيب ، خائف لذاك الحد الذي يدفع قلبي للعويل لذاك الحد الذي يدفعني دون تردد بإخبارك بمخاوفي .

سمعتْ خطوات قادمة فاحتمت بالصخرة وتكورت خلفها، رأت عُمير يبكي وهو يُحمْلق في الأسود الثابت أمامه، أتراه لم يستطع التغلب على خوفه فحلَّ ضحية هنا، هكذا قال الكتاب!

الأسود بصوت يشبه الفحيح : ستموت هنا!

عُمير بشيء من دموع: فليكن لعلّ في الموت راحة لي !

الاسود: إذا سأعذبك اولًا ، ما رأيك ؟

عُمير بخوف: لاتفعل.

نظرت فإذ بالاسود يخرج سوطًا طويلًا نحيلًا ،شهقت وخطوت خارجًا صرخت: توقف !

لم ينظر إلي وكأنه لم يسمعني حتى ، نظرت لعُمير الذي كتفه خوفه في موقعه وقلت: تشجع يا عُمير، كن قويًا .

عُمير وهو يرتجف: لا أستطيع لا أستطيع !

ريم: أمك تنتظر عودتك لتعتذر منها قاوم لأجلها.

أجفل عندما سمع "أمك "و "اعتذار "في جملة واحدة ، والأسود يضرب السوط في الهواء بشكل يثير الرعب، تذكرت كيف كان خوفي سيكشفني عندما تبعني لذلك عزمت بأني لن أخاف.

صِحت فيه: إياك سيقتلك خوفك، لاتستسلم !

اقترب الأسود منه ،كان يهدده بشدة وصوت سوطه الضارب يثير في النفس الرهبة ،بدأ السوط يلسع جسده الخائف وأنا أضع يدي على فمي لأمسك بشهقاتي المتقطعه، شعرت لوهلة أنه سيتم الامساك بي، فهربت، لم أكن أمتلك حلًا سوى هذا!

هرعت للداخل وأنا أمسح دموعي التي تنساب دون أدنى شعور، شيء لا أستطيع وصفه ،الآف التضارب يسكنني من أفكار وشعور يعتصرني، وكأنني أفقد نفسي تباعًا مع كل محنة!

توقفت وأنا أكتم شهقاتي فإذ بيد تمسك بي من خلفي ، سقطت أرضًا مرتعبة فإذا بها تصرخ: أخرجيني من هنا !

قلت: من أنتِ؟

ردّت:أخرجيني أخرجيني

واخذت تصرخ في وجهي بأن أخرجها، فقلت بعبوس: لا أستطيع أن أخرج أحدًا ،أنا لست أدري كيف أفعل ذلك.

عاودت الصراخ عليّ، وكأنني أنا التي القيت بها في ما هي فيه!

صرخت فيها أنا هذه المرة وقلت:ما بالك يا امراة ماذا تريدين مني؟

صمتتْ ونظرتْ إلي بهدوء

ريم :أعتذر ، لكنك قد أفزعتني.

لم تجب، فقلت: لم أنت هنا ياسيدة! ؟

ردّت: أنا لا أعلم لِمَ أنا هنا .

ريم، اسمعيني هناك خوف يقيدك، هو الذي يشكل هذه القضبان فارجوك قاومي خوفك وعبوسك .

قالت: لِمَ لايستطيع المرء أن يصحح تلك الامور التي هو نادم على فعلها؟

ريم: ببساطة لأن الوقت يمضي بنا للأمام .

ردّت: من أنت؟

ريم: اسمي ريم أنا ضائعة ايضًا.

ردّت: أنا لست ضائعة، أنا من تسببت في ضياعي.

ريم بعد أن جلست على صخرة مقابلة : ماذا حدث ؟

ردت: انا مُرُوج ذابلة، سهول صفراء غارقة في مواسم الجفاف المتسلسلة، صوت عويل رنان متقطع صوتي، مضيت بين الناس لأذيقهم لذاعته، كنت أشتمهم أُأذيهم، إن علمت أنّ فقرًا قد أصاب أحدهم وقفت على رأسه أسخر منه، إن علمت أنّ هناك من يريد أن ينجح، زجرته حتى ترك الطريق الذي مررت به، وجرّاء أفعالي أصبحت وحيدة

بلا رفقاء ولا أهل ولا صاحب، لم يعد أحد يسكن الحي الذي أسكنه ، كنت حمقاء لكن فيما سيفيد الأعتراف؟

ريم

إنها كبيرة في السن في الهموم والمشاكل أيضًا ، أردت مواساتها رغم إني أعلم ما يعانيه المرء عندما يريد أن يكون شيئا ويتعثر بألف بشري معيق، قلت:

ليس بمقدورنا أن نتراجع عن أخطاء كنا قد ارتكبناها لكننا نستطيع التعلم منها حتى لا نعيد تكرارها ، لن يعود الزمان ليواري سوءة أفعالنا ، والاستمرار فيها قبح مطلق ،كل ما نستطيع فعله هو أن نصحح المسار فكل منا قد يخطأ.

نظرت إلي بغرابة ، في الواقع لم تكن تنظر إلي بل للواقف خلفي، تلفت فشهقت ،فتراجعت للخلف، كان الاسود قد أتى يحمل هذه المرة صحون وقوارير زُجاجية ، ارتجفت المراة، واندهشت أنا، لم يكن يحمل سوطه ولم يضربها بل بدأ بتهشيم ما يمتلكه من زجاج في تلك القضبان التي تحتجزها، بدأت ترتجف وترتجف، أهابها صوت التَكَسُر فهل كانت تدرك أنها تفعل ذات الشيء في القلوب التي تهشمها!

أشفقت عليها، لكنني لم أستطع البوح لها بما يساعدها، شعرت بأنها كوالدتي، تهشمني في كل حرف وتزجرني بعنف ، في كل خطأ وكل حلم تحبسني في غرفتي، كنت انظر لها ويخيل إلي أنّ والدتي نادمة لفعلها ذلك، لتمزيقها إيايّ في كل مرة حاولت الإقتراب منها ،

لكنني لا أريد أن تصل بها الحال كهذه □ تنهدت □ وانسحبت بكل هدوء ، شعرت بأني مليئة بالدموع وعلى وشك الإنفجار لكن وجب علي أن اتماسك.

في الكثير من المرّات تلتقي بأشخاص تتمنى أن تساعدهم، أو أن تخفف من حرقة قلوبهم إلا أنك لاتنجح في ذلك أبدًا، فمعظم الاوجاع لا دواء لها ،وهناك الآف المواقف التي لاتَلقى النّسيان في حياتنا، تظل عالقة بنا كـ لقمة متعثرة سقطت في القصبة الهوائية عوضًا عن المريء ، الحل الوحيد لمثل هذا هو التجاوز والتقبل والإستمرار حاملين برفقتنا كل ذلك.

كان صوت تحطيم الزجاج مرعبًا في الظلمة الدامسة، ظلت تمضي وهي تشاهد أسخاص مُكبلين في الزنزانات ، تعلم أن لكل واحد منهم قصة، فلا تتشابه مخاوفنا أبدًا إلا في أنها قضبان ينبغي أن نتجاوزها، لم تعط أحد فسحة للكلام، كانت ممتلئة بما فيها ، رأت منفذ يمر منه النّور، ففرحت لعلها تلقى خلاصًا من هذا المكان ،ونحن بطبعنا نحب الفرار من الاماكن التي لانجد لأرواحنا فيها متسع !

ريم وهي تلتقط أنفاسها : أخيرًا!

كانت شاحبة بعض الشيء، شديدة الذبول كأغصان من بعد ما كانت رطبة تقطّعت بها العروق ، منحنية الجسد في وضعية الركوع، تجاهد ذاتها على الوقوف، كان الممر الذي أمامها مألوف لحد كبير.

ريم : إنه ذات الكهف الغريب الذي رأيت فيه الأسود لأول مرة!
تلفتت وإذا بصنديد يجلس مستندًا على صخرة ضخمة، وكأنه كان ينتظر خروجها !
ريم: أنت هنا!
صنديد: أخبرتك أني أكون حيث تكون شجاعتك .
ريم: هناك أشخاص في الداخل يحتاجون إلى المساعدة -اشارت بيدها نحو الكهف - إنّ ذاك الشيء الأسود يلقي بهم في زنزانات مرعبة.
صنديد: كلنا يقيدنا خوفنا في الكثير من المرات ونلتقي به بين الكثير من أفكارنا وأحلامنا إلا أنّ هناك من يسمح له بأن يسلب منه كل شيء، يرضخ فيكون حبيس مخاوفه المتجددة. وهناك من يرفض ذلك، يقف ويواجه.
ريم: لكن ما الحل؟
صنديد: في خوفك لا يستطيع أن يساعدك أحد، لا تستطيعين أن تدخلي تلك العقول التي تقطنها الأفكار المربكة وتسحبينها منها، كما أنك لا تستطيعين أن تخترقي القلوب لتجعلينه ينساب منها، أخبرتك هنا الكثير من المواقف تَفرض على المرء أن يساعد نفسه بنفسه.
جلست فقد كانت متهالكة القوى ، منهارة البدن
: كيف أخرج من هذا المكان؟
التفت إلي وقال: أنتِ في أرض الكذب والخداع حيث تعيش الأساطير ، ابحثي عن النقيض دومًا عن العلاج المضاد.

ريم: لم أفهم!

ريم :دخل الكهف دون أن يحادثني ، لماذا يفعل هذا؟

أخذت تقذف الحصى بيديها وأكملت: أرض الكذب !

لماذا تسكنها جنّات بدت لي طيبة ! أتراها كانت تكذب عليّ! ؟

لمع النّور الذهبي يفرش الأرض بساطًا ، فتنهدت وعلمت أن عليها التحرك الان، كانت تخطو فينساب من أسفل قدميها صاعدًا لأعلى، وصلت للغابة، واختفى الضوء، أخذت تمضي دون وجهة وهي تحادث نفسها وتحثها على التقدم، تبعد الأغصان النافرة عن الطريق بيديها لتمر، حتى توقفت وهي في صدمة كبرى، إنها قرية!

ياقوت

أصبحت وحيدة بلا أحد، أضعت نفسي ...

وبعد أن وجدتها ، ضاعت ابنتي وضاعت معها الحياة!

كان زوجي شديد العنف دومًا فاذا ما خاطبته أن يتريث ويبقى بجوارنا يغضب ، يرفضنا وكأنه كان مكره علينا، فهل ساستطيع مواصلة الدرب وحيدة! ؟

حزمت حقائبي مستعدة للرحيل، فكرت في أن أصعد لغرفة ريم قبل هذا إنها لحظة الوداع ، فصعدت، فتحت بابها وفتحتُ أبواب مواجعي وانهمرت الدموع ، افتقدت تمردها وصياحها وصوتها، افتقدتها بكل ما فيها، فأين أنت ياريم؟

هل هانت عليك أمك لتتركيها وحيدة ؟

انظري لحالي!

انتبهت لدفترها الذي كانت تدون فيه ملاحظاتها، اقتربت منه واحتضنته مشتمة عبيره، فتحته وأخذت تقلب صفحاته، فرأت الصفحة التي تدون فيها كيف التقت باشكوريداد، الخاطف الملعون! قرأت ...

"يؤلمني بُعد عائلتي وتمزقها، كنت أتمنى لو أني أعيش في أكناف أسرة دافئة، فأَلم هَجرِهم يفوق ألمَ بعدهم ، موجودون وقد مات حبهم، يال صعوبة ذلك!

أمتلك أم غائبة أمومتها، وأب ذاب في الأرض حنانه وعطفه، ولكن عثرت على صديق جديد!

نعم كان وحيدًا مثلي ، يجلس على الكرسي الذي أجلس عليه في معظم زياراتي للحديقة الذابلة ، صفحاته السوداء أثارت حماسي، وحروفه المدونة بلون الدماء التفت لها قلبي لا نظري ، حملته بين ذراعي فاختلج جانب مني، وكأن هناك زلزال قد ضرب داخلي فاهتززت، بدت حروفه مقربة لي، لكِ أن تتخيلي كم علّقني به يا مُذَكرتي!

على كل الأحوال يبدوا أني سأحكي لك قصص مثيرة في أيامي القادمة ...

الآن وداعًا! "

سمعت صوتًا غريبًا فالتفتت حولها، فإذ بعبارة تكتب على الحائط، كان لونها ذهبي وكأنها شعاع شمس أضاع مساره، ، اقتربتُ منه وبدأت اقرأ وكأني حديثة عهدٍ في القرأة : لا ...لاز - ثم بسرعه -لالاز!

ماذا تعني؟

ظهر الوميض الذهبي وبدأ يلتف حولها، كانت خائفة للحد الذي جعل من أقدامها مثقلة لا تقوى على حملها، عانقها الوهج وكأنه يتسرب إلى داخلها، ثم اختفى!

لم تدرك الذي حدث إلا بعد مرور عدد من الدقائق ، أصبحت لا تقوى على التفكير بأي شيء، فغادرت وكأن شيء لم يكن حاملة مذكرة ابنتها في حقيبتها.

اجترت حقائبها ووقفت بعد أن خطت عتبات القصر الذي كانت تسكن فيه، رمقته بنظرها والدمع يستقر بعينيها وكأن فيهما بحيرتان، أتبكي أيام سوداء أضاعت مبادئها؟

أم تبكي غياب زوجها وابنتها؟

أتبكي لأنها باتت وحيدة؟

إنه الفراق...

يربكنا حتى وإن كنا نعلم أن المغادر سيعود خلال فترة قصيرة، يطاردنا وكأنّه وحش كاسر، ثم ينتزع منا أشخاص، ذكريات أو حتى أحداث، إن له في النفس وقعًا لا يصل إليه أي شعور إلاه.

بضعُ لحظات وكانت في طائرة تقلها لغير دولة ، فتجتاز الحدود وتستقر في مكان آخر....

الوجهة إسبانيا هناك أمضت سنواتها، هناك عاشت حكايا وخبايا لم تُطلع ريم يومًا عليها كما لم يطّلع أحد ،تلك أرض احتوتها وعائلتها فاستوطنت جزء من قلبها ،قبل أن تسافر برفقة زوجها.

ريم

بيوت من طين أو ربما لا أعرف مما هي!

لكنها تصطف بشكل دائري تاركة في المنتصف ساحة عملاقة ،أخذت أخطوا نحوها ، فإذ بطفل صغير وكأنه قطعة شوكولاه فرت من عبوتها ، لم يكن يرتدي سوى قطعة ثياب بالكاد تواري سوءته، حملتُه ولاطفته وبدأنا باللعب معًا ،مَر الوقت برفقته كمرور غيمة عابرة هبت بها الرّياح ثم غادرت لغير ديار...

أمطرت السماء، وأصبحت الأرض طينية فأفسدت ثيابي وملأتني، لكنني كنت في غاية الفرح ، مارست طفولتي المكبوتة أطلقت عنانها دون قيود ودون حدود.

طفولتي الغائرة في عُمق العنف ،المتدثرة بكفن الحرمان، ماتت في ربيعها، واهترئت في ردائها ،لم أشعر بها يومًا، وكأنها سويعات أضعتُ عمري فيها، آلمتني وأحزنتني

أشقتني بل عذبتني وتحطمتُ جرّائها إلى قطع صغيرة.

كان المطر يهطل بغزارة، وصوته يضفي للجو عبقًا مختلفا ، حتى توقف الطفل في حضن امرأة تشبهه أشدّ الشّبه لكنّ ردائها مختلف فهو يغطي معظم الجسد، نظرت لها وقلت بلطف: مرحبًا!

بدأت تتحدث بلغة غريبة، أشارت لي برأسها ويديها في صيغة تعني: أني لم أفهم.

فعرفتُ أنها تتحدث لغة لا أعرفها، ربما هذا ما أدهش جنّات عندما علمت أني عربيّة!

بدأ أهل القرية ذكورًا واناثًا كهولًا واطفالًا بالالتفاف حولي، وكأني وليمتهم القادمة ،وهُم جياع!

تقدم منّي رجل عجوز فاخبرته المرأة أني لا أفهمهم، استطعت فهمت ذلك عندما سمعت "مرحبا "التي قلتها لها.

لم يتحدث مجيبًا لها، ولم يبد أي ردّة فعل، على كل الأحوال لو كانوا أكلة لحوم البشر، فأنا أعلن نفسي وليمتهم من الان ، فلا مجال للهرب.

أشار لها بيده أن تصمت، واقترب مني وأشار إلي بأن أتبعه، فاتبعته دون أن أنبس بحرف واحد، دخلنا الكوخ الطيني الأضخم يبدوا أنه المخصص لسيدهم وهذا هو.

جلس على فراء دب وقال: أعربية أنت! ؟

قلت بفرح لأنه عرف هويتي: نعم!

ردّ: لعلك تائهه، كيف تعيشين هنا؟

أخبرته ببضع من قصتي وكيف أن الكتاب هو من أحضرني إلى هنا ، فكر مليًا ثم قال: أتعلمين أنا أيضًا أتيت بذات الطريقة، لكنني لم أفكر بالعودة قط، واكملت عمري هنا، إنهم شعب طيب كما ترين ، أطولهم هو سيّدهم، وبطبيعتهم قصار القامة يتحدثون لغة شعب النامة لذلك بدت لك غير مفهومه، هل أنت داكنة البشرة؟

قلت وأنا أنظر لنفسي: لا هذا إنه طين فحسب.

أخذ يضحك وقال:أتعلمين أنهم لايدركون أنّ أصحاب البشرة البيضاء بشر يظنونهم نوع من الحيوانات ، انهم شعب بسيط!

قلت بخوف: سيأكلونني! ؟

نظرر إلي وقال : لا فأنت يغطيك الطين بالكامل، لكن سارعي بالابتعاد من هنا إن كنت تخشين الموت .

اقترب هو من وعاء ماء وحرك يده فيه، فخرجت بيضاء، فَصعقت أنا.

قالت: أغطيت نفسك بالطين كل هذه الأعوام التي عشتها معهم؟

قال : نعم !

وأردف:

من لاشيء أصبحت زعيمًا، يسمعون كلمته ويطيعونها، فهل تريدين أن أعود لمكان أنا فيه عاطل عن العمل لايمتلك وظيفة؟

ريم: هذا أمر يخصك يا سيدي ، ولكن هل تعلم طريقة للخروج من اوشكوريداد؟

ردّ: علمت أننا في جانب من العالم قلمّا يأتيه المستكشفون، وهناك أنفاق تقود من مكان لمكان دون أن تعبري المسافة ذاتها . أمسك بعصاه وبدأ يغرزها في الطين مشكلًا خريطة وتابع:

عندما أتيت إلى هنا سقطت في بوابة الجحيم، وهو شاطئ صحراء ناميب، ثم انتقلت عبر كهف هناك إلى هذا الغاب، هناك في الأعلى منطقة جبلية ، يشقها منحدر يقود إلى هنا في بضع دقائق، بينما الطرق الاخرى تاخذ معك ساعات وساعات.

علمتُ أن حدود هذا الكتاب هو الارض بأكملها، فتارة يظهر نفق يقودك لمكان ما في العالم أو لجزيره في عمق المحيط، بحسب قصتك تمضي بك الأحداث.

ريم: ألا يوجد ممر يعيدك لمكانك؟ أو على الأقل يرشدك لاشخاص يستطيعون تقديم المساعده لك؟

رد: اوشكوريداد هو الجانب المظلم، لاتستطيعين الخلاص منه بالغياب عنه،فهو سيعود ليقذفك إلى مكان ما ، لكن الحل كما أعتقد أن تعثري عليه وتمزقي تلك الصفحة التي وقعت عقدك عليها، هكذا اخبرني لا لاز.

ريم: إذًا أنت تعلم من يكون لا لاز؟

ردّ: بالطبع!قرأت هذا فيه ، فهو يكشف عن الأسرار، بينما اوشكوريداد هو انعكاس للجانب المظلم فحسب، عالم الخبايا، الكذب، الخوف، النفاق .

ريم: وكيف لا زلت تعيش في مكان كهذا؟

رد: أنا لا أعيش في اوشكوريداد، أنا أعيش في لالاز ياصغيرتي.

قلت: هذا رائع!

تذكرت جنّات التي كانت تخفي لالاز عني فقلت: هل تعلم من هي جنّات؟

قال: من جنّات؟

ريم: تسكن الجبل في كوخ بسيط يشبه هذا ولكنه ليس كمثله...

ردّ: عرفتها، إنها الجانب المنافق من اوشكوريداد ، تخفي عنك الحقائق وتُكِن لك الضغينة وتعاملك بطيبة مُثلى، اسمها ليس جنّات بالمناسبة، اسمها مَذّاقة .

ريم بتفكير "أخْفت عنيّ لالاز لهذا السبب، يا إلاهي من هذا الذي يقف أمامي؟

هل هو حقًا كصنديد أم أنه سيء كجنّات أو مَذّاقة كما قال؟

قلت: كيف أميّز بين اتباع الخير والشر؟

رد: كوني ذات بصيرة لا بصر ،فلا يُصدّق كلُ ما يُرى بالنّظر.

صمتّ لكي أفكر.

فوجدته يردد:

عتمتي!

غرقتُ فيكِ

واتبعتُ شهوتي

فاهتزت قافيتي

وانتهت قصيدتي

لكنّني كلما تهتِ

جَمعت شتاتي

أهلكتني فيك

ضياعًا،

والنّاس فيكِ قد هلكوا

سُباتًا

-تنهد-

فقدت نفسي بالضلال

وظننت بذلك أنني

حرٌ

أتتبع رغبتي

ولكنّي كنتُ أغرق

فيك يا ظلمتي.

نظر إلي بنظرات انتفض لها قلبي وقال: لم تنتهِ القصة لأن صاحبها غادر الدنيا قبل أن يكملها، لم يكتمل الذنب فقد تاب صاحبه !

أردف: هذه آخر كلمات تركها لي اوشكوريداد ، أينما التفت أراها وكأنها تخط امامي.

ريم وهي تمسح دمعتها : مؤلمة!

ردّ: كل منا يمتلك قصة، وقصصنا معظمها مؤلمة فالحياة تجعلك تقف على السعاده بعدما تحترق قدماك وقوفًا على الجمر، ربما كانت تلك قصتي !

قلت:ربما !

أردفت: أستمحك عذرًا ياعم علي المغادرة!

ردّ :إلى أين؟ سمحتُ لك بالبقاء فلماذا تفضلين لنفسك الشقاء؟

ريم:أعتقد أن قصتي مختلفة، فأنا لم أستسلم في مواقف كان لابد علي فيها الرضوخ والاستسلام أتظن أني سأبقى هنا؟

لدي حياة عليّ أن أغيرها، أخطاء لربما أصححها قبل فوات الاوان .

لم تمهله وقتًا ليتحدث، أخذت تشق طريقها مسرعة، كان المطر لا يزال يهطل، وشعرها ينسدل، وبياضها من خلف غطاء الطين قد ظهر

، لم تستطع الخروج من القرية لأن الأهالي استوقفوها ،تقدم أحدهم قائلا: أنت بيضاء، علينا قتلك.

توقفت ريم وتراجعت بخطواتها للخلف ،ثم تشجعت وقالت: وماذا يعني إن كنت بيضاء البشرة؟

نظر إليه الناس ليفسر لهم ما قلته فأخبرهم، وارتفعت أصواتهم الصاخبه في نفور واضح، وقال: يعني أنك لا تنتمين إلى هذه القبيلة.

قلت:نعم ولكنّي بشرية كمثلكم.

ردّ: ولكنك بيضاء، ونحن لانعاملهم كالبشر، كلما ظهر أحدكم نهب قريتنا وسرق مالنا وطعامنا ،واحد منكم حطم سفننا، وسرق إحداها، أنتم سارقون محتالون.

ريم: كل عمل يمثل صاحبه لا الجماعة ولا الأشباه، فها أنتم لستم واحدًا بخلقكم وشخصيتكم، هذه أمور يتفاوت فيها الناس .

كان بعد كل كلمة أقولها يفسر لقومه ما أقول ثم يرد علي بالعربية ،مالفت انتباهي أن قائدهم كان ينظر إليّ من بعيد ولم يتدخل، لربما كذب علي عندما قال أنه أنهى عقده وارتباطه باوشكوريداد، قطع تفكيري صوته القادم الحامل جوابا:

لم اقتنع بما قلتهِ ولكني سأسمح لك بالدفاع عن نفسك، فدافعي.

قلت:أنا طفلة كأطفالكم أعيش كما تعيشون-وأشرت إلى جسدي -قد تهت عن أرضي وقد تعب جسدي ،وعينيّ سكن أسفلها السواد لشدة الوهن ،فلو كان أحدكم مكاني فهل ارتضى لنفسه أن يُحَمّله الجميع ذنبًا هو ليس بمرتكبه؟ !

شعرو بشيء من الإقتناع وكان هذا الشعور كافيًا ليمدّني بالمزيد من الإندفاع:

لا يهم ماهو لون بشرتنا الخارجي المهم أن نكون أنقياء من الداخل!

زال الطين عنها تمامًا فأصابهم شيء من الخوف والهلع، لكن الصغير الذي كانت تلعب معه تحت المطر تقدم منها وأمسك بذراعها مجددًا ،وكأنه يدعوها للعبة جديدة، انحنت وأمسكت رأسه بحنان وقبلت وجنته فضحك هو.

فردّ: لعلنا أخطأنا في حقك فنسألك السماح، تستطيعن الذهاب.

شكرتهم وانحنت باحترام ،فتقدمت إحدى نساء القرية وكانت أم الطفل، لتقدم لها حقيبة ممتلئة بالطعام كشكر لها لأنها استطاعت رسم الإبتسامة على شفاه ابنها المنعزل ،احتضنتها ريم بفرح، وغادرت.

جلست لتأكل طعامها على صخرة مألوفة، بعد لحظات تذكرت أن اوشكوريداد كان هنا من قبل، تحديدا حيث تجلس هي، نهضت وإذا ببضعٍ وهج يخرج من جيبها، مدّت ذراعها فإذا بها تعثر على تلك الورقه التي كانت قد مزقتها من قبل ،فتحت الورقة المطوية فأصابها الذهول، كانت الصفحة قد تحولت لتلك الصفحة التي وضعت توقيعها عليها، ثوان وبدأ الوهج الأحمر يعزف معزوفته مجددا ويلتف حولها ،تبعته .

كان يقودها إلى قمة جبل، كانت تعلم تمامًا أنها تخوض في غير سبيل ،فهذا هو الجبل المقابل لجبل مَدّاقة .

وعُوْرة الطريق دفعتها لتمسك بالأغصان والجذوع لتتشبث بها خشية السقوط، مر الوقت وكانت منهمكة في التسلق، انتهت المنطقة التي تنموا فيها الأشجار وبدأت تستخدم الصخور لتساعدها في الصعود، شارفت على القمة، هنا همست لها ذاتها بفكرة مخيفة "هاكِ قد صعدت فكيف ستنزلين؟ "

لو أنها كانت ريم القديمة التي أتت إلى هنا حديثًا لربما كانت ستفلت الصخور أو ماكانت لتخوض هذه التجربة حتى، لكنها حكمة إلآهية ، تحتوينا حتى في حياتنا.

ربما كنا سنفقد الكثير من النعم لو حصلنّا عليها بشخصيتنا الضعيفة، فتأتي الظروف القاسية لتمهدك أنت أولًا لاستقبال هذه النّعمة.

وصلتُ القمة، وقفتْ فعصفت بها الريح لتبعثر خصلات شعرها كما لو أنها طيور، وبالطبع كان اوشكورياد مستلقيًا أمامها ، لم يكن وحيدًا ، فلالاز قطع عليه رُهاب الوحدة، نظرت حولها أيضًا فرأت الأشجار المتشابكة في الأسفل وكوخ مَذّاقة يتضح بعض الشيء على الجبل المقابل، كان الممر القصير الذي في عمقه كهف صنديد والأسود واضحًا ، والقرية التي كانت فيها في الجهة المقابلة لكل هذا.

ياقوت

كنت أنوي بسفري فراقًا بل القاف راء.

ظننت أن بعض العزلة ستفيدني ، نظرت للبلد التي عشت فيها لحظاتي برفقة زوجي وابنتي ،ربما كان التعبير الأمثل أني ارتكبت في هذه

البلاد كل أخطائي التي أتمنى لو يعود الدهر فأصححها، فلم ألاقي له عودة، فهرعت لغير مكان ،اغرورقت عيناي بالدمع، الوداع ثقيل على أكهالنا، فما بالك بمرارة الفقد والوداع مجتمعتان!

شعرت بأني منهكة ،كنت بحاجة لعائلتي الدافئة، لربما فارقتهم من قبل بالدموع والأحضان، ونسيت ألم فراقهم بمرور الأيام وتغير الزمان وكثرة المشاغل والمسؤوليات ،ولكني اشعر بأني عدّتُ لهم صغيرة، كعودة الطائر مكسورَ الجناح،هبطت طائرتي ،وتَرّجلت منها كفارس تَرّجل عن صهوة جواده.

كنت قد أخبرت أمي بقدومي، شعرتْ بحزن يسكن صوتي فأصابها القلق، فماذا سيحدث لها عندما ترى حالي! ؟

كان والدي ووالدتي ينتظراني في المطار وبجاورهما أخي وطفلهُ الصغير، جريت نحوهم وأنا أصارع دموعي، لكنها غلبتني في النهاية. في المنزل أخبرتهم بما حدث، شعرت بحزنهم فقد بان هذا على ملامحهم وفي دموع أمي، وحسرة أبي الواضحة، لم يتقبلوا فكرة ضياع ريم، كنت متعبة لم أستطع الخوض في الموضوع أكثر من ذلك، لذلك اقترح أبي أن أرتاح اولًا ثم نستكمل حديثا في وقت لاحق، أخذتني أمي إلى غرفتي، كانت لاتزال كما هي على حالها ،فلم تقبل أمي أن يستبدلها أحد بغير منفعة، وفضّلت على أن تظل فارغة تحت اسمي على أن تكون ممتلئة باسماء آخرين، كان دخولي الأول غريبًا، وكأنني أعود لعرشي، التقي بنقائي فيعاتبني على مافعلته به، لمصحفي وركن الصلاة الخاص بي، لمكتبتي التي نسيت أمرها

، عاتبتني نفسي في مرآتي، في جوي النقي، كيف سمحت لشخص بأن يفسدني؟

بأن ينهي خصالي الحميدة؟

كيف كنت مصطنعة أتطبع بطباع ليست لي طوال تلك الأعوام ؟!

تمددت على السرير أرقب سقف الغرفة وثوان فقط كنت نائمة، بل كنت أحلم أنني التقيت بريم واعتذرت لها أشد الاعتذار ،وددت لو طال الحلم بل لو كان باستطاعتي لستبدلته بالواقع.

صحوت على ذكرى ريم، يال هذا!

قد تستطيع الهرب من المكان الذي تمت أذيتك فيه لكنك لا تستطيع أن تهرب من الأذية نفسها!

تذكرت زوجي الذي تركني ورحل بدلًا من أن يقف برفقتي،ويمسح على جروحي بمرهم يخففها ، تذكرت كيف كان يصرخ في كل مرة ،بدأت أهمس بما يجول في بالي، بصوتي المنهك:

ليتك لم تكن

ليتك ما جئت

ولا عثرتني الطريق بك

تعمقت داخل روحي

كنت البداية وقلت لي أن

معك ستكون نهايتي

ثم ذهبت

وتركت جرحًا غائرًا

وندبة حزن دفين في ملامحي

أهو ذنبي أني تصرفت بعفويتي

وتبعتُ قلبي؟

أم أنك لم تكن تستحق؟

كيف مرت علي خديعتك دون أن الحظها؟

ألم تفكر يوما كيف لفتاة لاتثق بظلها أن تثق بك!

-تنهدت-

أختفيت...

وكأنك لم تعد موجودًا

وكأنك لم تكن يومًا !

أما استطاعتْ ايامنا اللطيفه أن تدوم؟ !

لماذا كنت مصطنعًا ؟

وما الذي سَتَدُره عليكَ أموالك لتعوضك فيه عن خسارة عائلتك! ؟

وريم!

هبت كنسمةٍ في طقس حار وانسحبت سريعا

لتتركني أحترق...

كيف حرمتها من حقها في أن أكون لها أم؟

كيف كنت لها لسانًا معسولًا بلا قلب! ؟

كم هي كريهة هذه الحياة عندما تُكشر عن خيباتها ،وتفجعنا دفعة واحدة، لتثبت أننا كنا غافلين!

بل مغفلين.

دخلت أمي لتقطع همسي ،مسحت دمعتي سريعًا لكنني لم استطع أن أواريها عنها، كانت واضحة لها ،ظاهرة، كيف للأمهات أن يفهمن ما يجول بأذهاننا من لحظة!؟

وكيف لم أستطع فهم ريم؟!

جلست بجواري تمسح رأسي بحنو، وتقول: سينتهي يا ابنتي ستنتهي هذه الهموم وكأنها لم تبدأ ، وسيعود الفرح ليطرد الحزن من قلبك .

ياقوت:لقد تعبت يا أمي! حتى طفلتي التي نورت حياتي المظلمة أبليتُ نورها واغرقتها معي في الظلمة. كانت تريد الحجاب والعفاف وكنت أريد الفجور ،كانت تسعى للعلم والنّور وانا أدفعها بكلتا يديّ نحو الظلام .

الأم:لا بأس أن نخطئ لكن المشكلة في أن نستمر على الخطأ ذاته.

أخذني حديثي مع أمي لغير مزاج بعض دقائق ، فعادت ضحكتي معها ،وأصبح كلامنا عن السوق والأولاد واشقائي وكأنني لم أمرّ بصخب العيش يومًا .

ريم

ثوان وتبخرت الورقة التي بين يدي وظل وهج أحمر مكانها، اقتربت فرأيتها أمامي، دون أدنى تفكير اقتلعت الورقة من الكتاب وكأني طبيب يقتلع سنًا مؤذية، ومزقتها ...

نظرت فإذ بالوهج الأحمر يتداخل لداخل الكتاب وكأنه يبتلعه وبدأ الذهبي ينير من لالاز وكأنه شروق جديد ، قد أشرقت شمس في داخلي .

رأيت صفحة مقابلة لاسمي، كانت كلها مشابهة للعقد الذي وقعته، أردت أن أمزقها لأحرّر كل المأسورين، لكن الصفحات عادت لتتشح بسواد الورق، يبدوا أن وقت الكتابة قد حان!

بدأتْ الخطوط الحمراء تنقش على اوشكوريداد من جديد :

لا ديجور

ولا عتمة

لمْ أعُد أخاف ...

غابَ خوفي في ظُلمتي

غابَ الظلامُ وَ

غابتْ لعنةُ

اوشكوريداد ...

ريم:

اختفى ، لا أصدق هذا !

اقتربت من لالاز وكان مفتوحًا على صفحة كتب فيها :

لا أحد منا كامل، كلُّنا عيوب، وكلنا نواقص، لكن هناك من كانت الغلبة لنواقصه ،وهناك من طغت محاسنه على كل ذلك .

في الصفحة المقابلة كُتب:

اعتذر!

فهل سينفع الإعتذار بعد النّدم؟

قيلَ :نعم !

بعض الكَدر

بعض مافينا قد يَنكسر

بعض الهموم تعيش فينا

حُرة إلى الأبد

لا فرح يُنسينا إياها

ولا طلوع فجر ولا قمر

بعضُ الجروح في داخلنا

هي خبايا ، لا تندثر !

لكننا نتعايش

وفيها نحن نحتضر

لا موت لها

إلا بموتنا

لاتفنى إلا بفنائنا

تعصف في داخلنا

ولكننا جبال

كَوّنها فُتات الألم

فمن قال أنّ الألم يَضُر؟ !

لا عيب أن نخاف

إن كان خوفنا

لن يستمر
ونحن فيه لن نظلّ
لا خوف من المواجهة
إن كانت ستجدُ لنا الحل!
لا كُره بعد الودّ
أرى أن الغضب
لغير ديار
قد ارتحل!
لا ضغينة
ولا شتيمة
ولا انقطاع حب
ولو أن الحب بَعدُ لم يصل
لا ندمَ على لحظاتٍ
ولا ذكرياتٍ
ولا صور
طالما أن السلبيات
لم تُرديني قتيلًا
فأنا سأضلُ أُقاتلُ
ولن أملَّ.
ولو كنتَ مُتعبًا
ولو كنتَ مُهلكًا

ضائعًا كنت

أومُشتتًا

لوكنتَ متناثرًا

كذرات غُبار متطايرًا

فلا تقف مهما حصل.

مسحت دمعتها وقالت: أنت الآن تحكي مافيني يا لا لاز!

رأت الصفحات تُقلّب ، حتى استقرت على صفحة مشابهة لصفقةِ اوشكوريداد ، كُتب:

كوني النّور

في هذا العالم

ولن يهمك

إن كان هذا العالم

مُظلمًا

، كوني نظامًا ولو كان

هذا العالم فوضويًا

وقعي لتعودي حيث كنت،

نقيةٌ كما أنت!

ريم

فكرت قبل أن أوقع بحال العم إحسان وكيف أنه عالق ولن يعود ، لم أكن امتلك قلمًا كذلك، نظرت حولي وقلت لنفسي: فكري ياريم كيف ستوقعي؟ !

قلت بحماس:

الطين ...!

غرست يدي في الطين وكتبت اسمي ثم جربت كتابة اسم العم إحسان ، فقد كان طيبًا معي، هو الوحيد الذي لم يكن مصطنعًا تمنيت لو أني كتبت عُمير أيضًا بل لو أني أخذت هذا الكتاب لذاك الكهف المظلم وكتبت أسماء جميع من هم هناك إلا أن ذلك غير ممكن، فلا أحد يستطيع أن يتحكم في خوف أحد آخر، كل إنسان مسؤول عن نفسه، عن حزنه وغضبه وخوفه وقلقه وخبثه ، بدأ الوهج الذهبي يتصارع في صخب، يحلق كما لو أنه كان طيرًا، يلتف حولي، شعرت بأني خفيفة الوزن ولا ثقل لي، وأني سأطير!

ثوان ولم أستطع تحمل التموج الساطع آلمتني عيناي فاغلقتهما، بدأت أشعر بحرارة تعتري جسدي، يداي تؤلمان، قدماي تتخدران، ثوانٍ وفقدت وعيي.

فتحت عيني ووجدت نفسي في الحديقة التي وجدت فيها اوشكوريداد من قبل، عُدت لدياري، وسأعود لعائلتي بعد ساعات، كان الفرح يقفز حولي، بعد تعب المحاولات ومغامرة علمتني الكثير والكثير، هاقد عُدت .

أخذتني الفرحة وكأني طفلة قد حصلت على العديد من قطع الحلوى .

حتى أني عدت للمنزل راكضة دون أن أفكر حتى في ردة فعل أمي وأبي أو كمَّ التوبيخ الذي سالقاه منهما، عدّت وكلي شوق والحنين يتربع في قلبي، ودموع هذه اللحظة كانت تتراقص على وجنتاي بطرب، وكأنّي لم أذق مُرًا، وكأن يُسري أنساني عسري، وفرحي أزال غمامة شقائي ،وقفت على أولى عتبات البيت التقط أنفاسي ثم طرقت الباب أنتظر أن تفتح لي والدتي وتستقبلني بصراخها وتوبيخها، اعتدت الجفاء منها ولكن حتى جفائها مُحبب لي.

صحت بتذمر :هيا يا أمي!

فُتح الباب أردت القاء جسدي على من قام بفتحه ولكني جُمِدت في مكاني لوهلة، لم تكن أمي ولم يكن ابي ولا حتى خادمتنا، لم تكن عمتي ،لم يكن أحد أعرفه!

كانت امراة شابة نظرت إلي باستغراب وقالت: ماذا تريدين منّي في هذه الساعة؟

قلت ببلاهه:أين امي؟

ردت:فتاة بعمر الثامنة عشرة ضائعة عن أمها! اتريدين مالًا؟

قلت بغضب: لا أريد مالك، هذا منزلي أين أمي؟

غضبت وصفعت الباب في وجهي تاركة أياي في الخارج، لا زلت لا أعلم هوية هذه المرأة ولا أذكر أني التقيت بها يومًا، مرّ في بالي أن أسال جيراننا ولكن سرعان ما تراجعت عندما تذكرت أن علاقتنا بهم سيئة للغاية.

الحل كان أن أنتظر عودة والدي هو يعود دومًا في المساء أذكر أن الساعه تكون في تمام العاشرة، أعتقد ذلك!

نفرت الفكرة من رأسي ،لانه وإن لم ياتِ سأظل في الشارع وفي الليل، لم يكن خوفي من الظلمة يقلقني بقدر ذاك الذي يدفع إلى ذهني نظرات الشفقة العابرة، أكره أن أكون محطَ شفقة أحد، عاودت طرق الباب، فخرجت كالبركان لتقول: أعطيك مالًا ولكن اغربي من هنا!

قلت بهدوء:سيدتي لا أحتاج مالًا كل ما اريده هو أن أسالك عن ساكن هذا البيت-لعلي قلت السابق بألم ؟

ردّت بتفكير: هل أنت من معارفهم؟

قلت:نعم!

اجابتني قائلة: أثبتي لي ذلك وسأخبرك؟

قلت بنفاذ صبر: أمي تدعى ياقوت ،تفضل اللون الأحمر، البيت فيه درج داخلي على شكل دائري ،في الأسفل توجد غرفة الاستقبال وأخرى لجلوسنا وأخرى للضيوف القادمين وفي الأعلى غُرف النّوم.

قاطعتني قائلة:حسنا حسنا توقفي! لقد باعني هذا المنزل رجل في منتصف الأربعين من عمره، وأخبرني أنه قد خسر زوجته وابنته وقرر المغادرة لغير مكان، حتى أنه لم يأخذ معه الكثير فقط حقيبة واحدة.

قلت:المعذره أنا هي الابنة، فهل تسمحين لي بأخذ شيء من ثيابي ومن ثم سأغادر باحثة عن والدي.

اتكأت على الباب وأخذت ترمقني بنظرة غريبة ثم قالت ادخلي!

دخلت وأنا أستنشق عبير العوده، لكن المنزل كان خاويًا شعرت بأنين الجدران وكأنها تعزف لي لحن العبوس، وكأنها تخبرني بالمصيبة الواقعة، لماذا غادر والدَي وتركاني وكأني لم أكن؟

أعلم أنهما لم يحباني بالقدر الكافي أو لم يفصحا لي عن حبهما بالاصح، ولكني لم أعتقد أنهم سيرحلان ويتركانني، أكان من السهل لهما أن يتخليا عني؟

تنهدت، تبعتني السيدة قائلة :هي على حالها مذ أن تركها صاحبها.

قلت:شكرًا لك سيدتي .

بدا لي أنها مستأنسة بوجودي فأردفتْ:أعيش وحيدة هنا، لا يعيق صمتي إلا صوت العصافير وضجيج المركبات وبالكاد تسمع صوت صراخ أحدهم.

قلت:لماذا أنت وحيدة؟

قالت:استحمّي فانت تبدين منهكة ثم تعالي لنتناول الطعام معًا وأخبرك بقصتي إن لم يكن لديك عمل ما.

قلت بضحكة خفيفه:كما ترين لا أمتلك أحدًا أنا ايضًا وحيدة.

ابتسمت وقالت:إذًا أنتظرك.

اغلقتْ هي الباب ،وتركتني خلفها بعبوسي، بدأت أغني قصيدة أحمد مطر التي اعتدت إنشادها:

أيّها الحُزنُ الذي يغشى بلادي
أنا من أجلِكَ يغشاني الحَزَنْ

أنتَ في كُلِّ مكانٍ
أنتَ في كُلِّ زَمَنْ .
دائرٌ تخْدِمُ كلّ الناسِ
مِنْ غيرِ ثَمَنْ .
عَجَباً منكَ .. ألا تشكو الوَهَنْ ؟!
أيُّ قلبٍ لم يُكلّفكَ بشُغلٍ ؟
أيُّ عينٍ لم تُحمِّلكَ الوَسَنْ ؟
ذاكَ يدعوكَ إلى استقبالِ قَيدٍ
تلكَ تحدوكَ لتوديعِ كَفَنْ .

بالرغم من أنها تحكي حزن البلاد وضياع الوطن، شعرت بأنها تحكي ضياعي وتغربي عن عائلتي التي كانت لي بمثابة الوطن!

وطن عصفت به الحروب والأوجاع، وقطعت أمانه صواريخ العتاب، وضبابة تقف في حدود البصر فتمنع البصر ، فيتصارع الأحباب ويعلوا الصخب، هكذا كان وطني الذي نشِئت فيه، كدر في كدر، فهل يصح لنا أن نستبدل الوطن؟ !

وماذا نفعل إن غشيتنا المحن ،وتمزقت حبال صوتنا نداءً بتعاقب الزمن ؟

أيصح أن نهجر الوطن؟ !

أن نترك الغبار يمحوا أثر خطواتنا المغادرة، وأن نمسح الشعور فلا نشعر لا بعتاب ولا ندم!

تنهدت مجددًا

شعرت بانتهاء دموعي، غيرت ثيابي بعد حمّام منعش، وأخذت انزل لألتقي بهذه السيدة، تبدوا لطيفة، لكني خشيت أن تكون كمذاقة، إلا أن صنديد أخبرني أن الشجاعة ستظل برفقتي مادمت صامدة، القيت التحية ، فردت بابتسامة :تفضلي بالجلوس!

جلست، قبل أيام كنت سيّدة هذا البيت والان سيدة أخرى تدعوني للجلوس فيه!

قالت:أتعلمين الوحدة أمر مزعج، وشعور بأنك لا تمتلك رفيقاً مزعج كذلك، في بداية المطاف كنت أشتكي دومًا حالي وقلة حيلتي، ولكني تعلمت العمل لاحقًا وعثرت على وظيفة ،أكملت دراستي من عرق جبيني حتى أنهيتها وترقيت لوظيفة أفضل، للحظة ظننت أّن الحياة انتهت بقصة ختامها بؤسي ولكني أدركت أن عليّ مواصلة التقدم حتى لو كنت وحيدة!

فالله معي ، ومن هذا المنطلق لم تعد لي حاجة لدى البشر، أصبحت قوية صُلبة لا تلين لصعب ولاتنكسر.

ريم:وأين والِدَاك ؟

ردّت:كانا يتشاجران منذ أن كنت صغيرة، كنت أتالم لسماعي صراخهما فأخرج من المنزل حتى ينتهيا.

حين بلغت الحادية عشر انفصل والداي وعشت بينهما، كنت أتمزق في حياتي اليومية فمرّة اقضيها في بيت جدّي والد أبي ، ومرّة في بيت جدّي والد أمي ،أما هما فكلاهما ألقى بالذنب على عاتقي وكأنني أنا سبب طلاقهما !

ريم: يال القسوة !

ابتسمتْ وقالت: في الخامسة عشر ملّني الطرفان والقوني في ملجئ، كان والدي يتكفل بدفع التكاليف ويبدوا أني أصحبت عبئًا بمرور الأيام فما عاد يدفع للمركز، فالقوا بي!

ريم: كيف يفعلون هذا؟!

ردت:لو أنهم سيحتون الجميع لأصبح كل المتشردين في الملاجئ عزيزتي ولمتلأت المراكز بنا جميعًا!

لكنّ المعظم لايمتلك المال ليكون في ملجئ حتى !

ريم:وانقطعت أخبار والديك بالطبع؟

قالت:أجل!

ضحكت بمرارة ثم سالتني: ما اسمك؟

قلت:ريم ،وأنتِ؟

ردت:نسمة ،سررت بمعرفتك يا ريم!

ريم بضحكه:وأنا كذلك يبدوا أن قصتينا تلتقيان في المصب ذاته فأنا قد غادر والداي دون أن يخبراني ...

أخذنا الحديث ليصبّ في مساقات أخرى، قصصت عليها ما حدث في اوشكوريداد وكل ما مررت به، بكيت فبكت، ضَحكت فضحكت، شعرت بدفئها، كنت أتمنى دومًا أن تكون لي شقيقة نتقاسم ضحكاتنا وحكايانا معًا،والآن أعيش هذا الشعور برفقتها لأول مرة.

فقدت عائلتي ووجدت صديقة ، لامجال للمقارنة بينهما ولكن هذا أفضل من البقاء كالمتشردين بلا مأوئ !

اتفقنا على ان نبحث غدا عن والداي معًا ، أردت أن أعلم إذا ما كانا يريداني أم لا .

وبالفعل مع شروق الشمس تحركنا أنا ونسمة شارعتين في عملية البحث، بتكرار السؤال، علمت أن والداي قد انفصلا منذ مدّة، استطعت أن أدرك أني غبت ثلاثة أسابيع، ومنذ الأسبوع الأول تطلقا.

شعرت بغصة، انقبض لها قلبي ، كيف تطلقا؟

شعرت بأن الأمر عَصّي على فهمي وتقَبُلي، لم أتخيل أني سأعيش الذي عاشته نسمة.

نسمة: أتعلمين أين تقع دار جدّك؟

قلت: لا أدري، أعلم أن أمي لها أصول إسبانية، وخالي يسكن في إسبانيا، أذكر أنه حدثني عنها من قبل ، أما ابوا والدي فقد توفاهما اللّه.

نسمة : إسبانيا!!

فكرت قليلًا ثم قالت: مارأيك أن نزورها معًا؟

ريم بتلعثم: أنا حقًا لا أريد أن أكون عائق لك لذلك أشكرك على كل شيء.

نسمة: لاعليك منذ الان أنا وأنتِ شقيقتان ، مُصابنا واحد وهمّنا واحد وفرحنا كذلك.

قلت بفرح: إذا كان الأمر كذلك، فتنتظرنا رحلة شيقة .

ضحكت نسمة وقالت: قصة جديدة في ظلام العالم الحقيقي دون تمازج الأساطير .

ريم: من يدري قد نلتقي باسطورة جديدة .

ودعت منزلي هذه المرة مسافرة، لم أكن حزينة لأنني شعرت بعدم انتماء له، شعرت بأن كل ما أمتلكته منه هو ذكريات مؤلمة.

سافرنا لإسبانيا تِهنا هناكَ الآف المرات، بحثنا طوال أسبوع كامل دون جدوى، كلّما شعرت باليأس ،دفعت نسمة الفرح لقلبي، كانت معي في كل لحظة، في اليوم الأخير في رلحتنا، قررنا الإستمتاع دون بحث، لن أعثر على أحد، فمشوار البحث مهلك والأمر أشبه بالبحث عن إبره في كومة قش!

أو سمكة في بحر!

في جولتنا جلسنا في حديقة معًا، كنت أحدثها عن الخوف وكيف أنه قيود تعيق صاحبه عن الحراك ، كان الأمر مسليًا ، فقد توصلت للكثير من الأمور التي عانا الحكماء لاستخلاصها وغابت عن عقول الكثيرين.

نسمة: من الجيد الوصول للمعرفة في سن مبكرة، هذا يساعدك على تجاوز الكثير من الأخطاء قبل أن تقع فيها.

ريم وهي تراقب الغروب: صحيح.

اقترب مني شخص في منتصف الخمسين من عمره، بدى لي بعافيته وصحته، قال:أعلم صاحبة هذا الصوت من تكون!

ريم:عم إحسان!

إحسان: أجل.. ريم! كنت أعلم انك ستنجحين.

ريم: أنت قد عدّت لديارك إذا نجح الأمر.

إحسان:النور هو الصواب دومًا هو العمق هو اللُطف هو الوصول هو النجاح هو الأمل، والظلام هو السخط والخبث واللؤم والعبث والخوف والفشل بلا عمل!

ريم:نجحت ياعم تخلصت من حزنك...

ابتسم إحسان وقال: نعم!

لعلّنا نضيع ونلامس

قعر الألم

ونذوق قلب المحن

ويداهمنا العجز

فيُكَتِف أيدينا

ولكننا لاننهزم

حتى في سقوطنا

نسقط على قدم

ونقف على قدم

مادام اللّه معنا

ما كان ليسكننا شَجَن

نحنُ سيوف ورماح

إن خابت هدفها تعتزم

فوزًا في تاليها

تبرز المواظبة
وتجدِد العَزم....
لاترتضي لذاتها إلا وصولًا
لا تؤمن بقدوم معيق عن التقدم
يعيق
لا رادع لا حائطولا حاجز
يفصلك عن الحلم
لعل ضياعنا لأنفسنا إحدى النعم
لعل همومنا ما هي إلا عتبة تمهد الدرب
وتنتزع العلقم وتشير للنفس للأمام
فتعتزم مواصلة ترحال
وبُعد ومواصلة مضي
مهما كان الثمن!

لربما بعد عامٍ على سبيل الصدفة نلتقي
لربما نظل أحياء ولا نلتقي ...!
لكنني آمل من البُعد أن ينطوي ...
فهل ياتراه سينطوي؟

انتهى.....

في النهاية أريد أن أتوجه بخالص حبي لوالدي العزيز الذي لازلت
أعده في كل مرة بأني سأقدم مزيدًا ومزيدًا...
ورفيقات روحي نور زيتون ورهام العاصي
أما دانيا العواودة فأتوجه لها بكل كلمات الشكر لعلها تكفي
على رسمها كوخ جنّات أو فلنقل مذاقة !